ألبير كامو

الترجمة عن الفرنسية:

هبة الشاوي

العادلون

Telegram:@mbooks90

مسرحية

دار نينوى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنوان الكتـــاب: العادلون
اســـم المؤلـــف: ألبير كامو
اســـم الترجـــم: هبة الشاوي
المـوضـــــــوع: مسرحية
عدد الصفحات: 86 ص
القيـــــــاس: 14.5 × 21.5 سم
الطبعـة الأولى: 1000 /كانون الثاني 2021 م - 1442 هـ
ISBN: 978-9933-38-282-7

© جميع الحقوق محفوظة لدار نينوى
Copyright ninawa

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـــف: 2326985 11 963+

E-mail: info@ninawa.org
ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

لا يجوز نقل او اقتباس، او ترجمة، اي جزء من هذا الكتاب،
باي وسيلة كانت من دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة المؤلف

في فبراير ١٩٠٥، في موسكو، نظمت جماعة من الإرهابيين الذين كانوا جزءاً من الحزب الاشتراكي الثوري عملية لاغتيال الدوق الأكبر سيرج، عمّ القيصر. هذه العملية والظروف المحيطة بها والنتائج التي أدت إليها هي موضوع مسرحية «العادلون». مهما بدت بعض المواقف استثنائية في هذه المسرحية إلا أنها حقيقية، وهذا لا يعني أن «العادلون» مسرحية تاريخية، بالرغم من أن الشخصيات جميعها حقيقية، وقد تصرّفت تماماً كما هو مدوّن.

حاولتُ جعل الأمور التي حدثت واقعية، فقد احتفظتُ بالاسم الحقيقي للبطل (كالييف)، ولم يكن هذا عن قلة حيلة وخيال، ولكن احتراماً وتقديراً لهؤلاء الرجال والنساء الذين عاشوا في أشدّ الظروف ظلماً، وقد حافظوا على صمودهم، وأحرزوا تقدماً ملحوظاً في الحياة في روسيا. أصبحت الكراهية التي تثقل كاهل تلك النفوس المقاوِمة في معاناةٍ لا تطاق نظاماً مألوفاً، وهذا سبب إضافي لإعادة هذه الأرواح العظيمة إلى الحياة، والحديث عن قصة تمرد أبطالها المبرر، وأخوتهم الصعبة، والجهود الشاقة التي بذلوها في سبيل مقارعة الاستبداد، وبالتالي إظهار إيمانهم الحقيقي.

ألبير كامو، ١٩٤٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«أيها الحبّ! أيتها الحياة....

ليست الحياة بل الحبّ في الموت».

روميو وجوليت، الفصل الرابع، المشهد ٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشخصيات الدرامية

دورا دبلبوف.

بوريس «بوريا» أنينكوف.

ستيبان فيدوروف.

الكسيس فوينوف.

إيفان «يانيك» كالييف.

الحارس.

فوكا.

سكوراتوف.

الدوقة الكبرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العادلون

الفصل الأول

(شقة الإرهابيين. عند الصباح، يرفع الستار بصمت. دورا وأنينكوف على المسرح دون أن يتحركا. نقرة على زر جرس الباب لمرة واحدة. يشير أنينكوف إلى إسكات دورا التي يبدو أنها تريد التحدث. ثم نقرتان على زر الجرس أيضاً).

أنينكوف: إنه هو. (يغادر المسرح. دورا تنتظر ولا تتحرك. أنينكوف يعود مع ستيبان).

إنه هو، ظهر ستيبان.

دورا (تتجه نحو ستيبان، وتأخذ بيده): مسرورة لرؤيتك مرة أخرى، ستيبان!

ستيبان: مرحباً، دورا.

دورا (تنظر إليه): تخيّل، قد مرّت ثلاث سنوات.

ستيبان: نعم، ثلاث سنوات. من اليوم الذي اعتقلوني فيه وأنا أحاول العودة للانضمام إليكم.

دورا: ومن حينها ونحن بانتظارك. لقد تأخرت، وكان قلبي يخفق بشدة. وكنّا من شدة الخوف لا ننظر في وجوه بعضنا بعضاً.

أنينكوف: وكان علينا تغيير الشقة مرة أخرى.

ستيبان: أعرف.

دورا: وهناك يا ستيبان؟

ستيبان: أين؟

دورا: السجن؟

ستيبان: يمكن الهروب من السجن.

أنينكوف: نعم. كنّا سعداء للغاية عندما علمنا أنكم وصلتم إلى سويسرا.

ستيبان: كانت سويسرا مجرد سجن آخر، يا بوريا.

أنينكوف: ماذا تقصد؟ على الأقل كنتم أحراراً هناك.

ستيبان: الحرية تظلّ سجناً طالما لا يزال هناك شخص مقيّد بالسلاسل على هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأرض. عندما كنت حراً، لم أستطع التوقف عن التفكير في روسيا وعبيدها جميعهم.

(هدوء).

أنينكوف: سعيد لأن الحزب أرسلك إلى هنا.

ستيبان: كان ذلك ضرورياً. أنا مستعد أخيراً للعمل. (ينظر إلى أنينكوف) سنقتله، أليس كذلك؟

أنينكوف: أنا متأكد من ذلك.

ستيبان: سنقتل ذلك المجرم. أنت القائد، بوريا، وسأطيعك.

أنينكوف: لست بحاجة إلى أي وعود، ستيبان. كلنا أخوة.

ستيبان: ما نحتاج إليه هو الانضباط. بدأت أفهم ذلك وأنا في السجن. يحتاج الحزب الاشتراكي الثوري إلى الانضباط، بهذا الانضباط سنقتل الدوق الأكبر وسندمر هذا الطغيان.

دورا (تتجه نحوه): اجلس ستيبان. لابد أنك متعب بعد تلك الرحلة الطويلة.

ستيبان: أنا لست متعباً أبداً.

(هدوء).

(تذهب دورا للجلوس).

ستيبان: هل كل شيء جاهز يا بوريا؟

أنينكوف يغيّر نبرته: كان هناك اثنان من أفراد شعبنا يراقبان تحركات الدوق الأكبر لمدة شهر، وجمعت دورا كل ما نحتاجه.

ستيبان: هل البيان جاهز؟

أنينكوف: نعم. ستعرف روسيا كلها أن الدوق الأكبر قد أعدم بقنبلة من الفرقة القتالية للحزب الاشتراكي الثوري، للإسراع بتحرير الشعب الروسي. سيعرف القصر الإمبراطوري أننا قررنا خوض العمليات الإرهابية حتى تُعاد الأرض إلى الشعب. نعم، نعم، كل شيء جاهز، تلك اللحظة قد اقتربت.

ستيبان: ماذا عليّ أن أفعل؟

أنينكوف: في الوقت الحالي، يمكنك مساعدة دورا. فشفايتسر الذي ستحلّ محله، عمل معها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: مات؟

أنينكوف: أجل.

ستيبان: كيف؟

دورا: حادث. (ينظر ستيبان إلى دورا التي تشيح ببصرها بعيداً).

ستيبان: وماذا بعد؟

أنينكوف: إن لزم الأمر تكون مستعداً في حالة الطوارئ كي تأخذ دورنا وتواصل الاتصال باللجنة المركزية.

ستيبان: ومن معنا أيضاً؟

أنينكوف: قابلت فوينوف في سويسرا، ولدي ثقة كبيرة به، بالرغم من كونه شاباً. أنت لا تعرف يانيك.

ستيبان: يانيك؟

أنينكوف: كالييف، كما نسميه الشاعر.

ستيبان: هذا اسم غبي بالنسبة إلى إرهابي.

أنينكوف (يضحك): يانيك لا يقول ذلك، يقول إن الشعر ثوري.

ستيبان: القنابل فقط ثورية.

(صمت).

دروا، هل تعتقدين أن بإمكاني مساعدتك؟

دورا: نعم، ما عليك إلا أن تحرص على عدم كسر الصمامات.

ستيبان: وماذا لو كُسرت؟

دورا: هكذا مات شفايتسر. (برهة) لماذا تبتسم يا ستيبان؟

ستيبان: هل أنا أبتسم؟

دورا: نعم.

ستيبان: هذا يحدث لي في بعض الأحيان. (برهة يبدو فيها أن ستيبان يفكر). دورا، هل يمكن أن تفجر قنبلة واحدة هذا المبنى بأكمله؟

دورا: واحدة فقط، لا. لكنها ستلحق فيه ضرراً من الداخل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: وكم واحدة تكفي لتفجير موسكو؟

أنينكوف: أنت مجنون! ما الذي تعنيه؟

ستيبان: أوه، لا شيء.

(الجميع ينتظر. يدق الجرس مرتان أخريان. يذهب أنينكوف إلى غرفة الانتظار ويعود مع فوينوف).

فوينوف: ستيبان!

ستيبان: مرحباً. (تصافحا، ثم يذهب فوينوف إلى دورا ويحتضنها).

أنينكوف: كل شيء سار على ما يرام يا أليكسيس؟

فوينوف: نعم.

أنينكوف: درستَ الطريق إلى المسرح؟

فوينوف: يمكنني رسمه. انظر(لهذا الرسم) المنعطفات والطرق القديمة والحواجز... سوف تمرّ العربة من تحت نافذتنا.

أنينكوف: ما هاتان الإشارتان؟

فوينوف: مكان صغير تتجوّل فيه الخيول وتتوقّف عند المسرح. في رأيي، هذه أفضل الأماكن.

ستيبان: والمخبران؟

فوينوف بتردد: لدينا مجموعة.

ستيبان: هل يقلقونك؟

فوينوف: لست مرتاحاً.

أنينكوف: لا أحد يشعر بالراحة تجاههم. لا تقلق. أنا لست خائفاً من أي شيء. أنا لست معتاداً على الكذب، هذا كل شيء.

ستيبان: الكل يكذب، كل ما تحتاجه هو أن تكذب جيداً.

فوينوف: الكذب ليس بالأمر السهل. عندما كنت طالباً جامعياً سخر مني أصدقائي، لأنني لم أستطع أن أنافق، أقول الكلام الذي على لساني فقط. وفي النهاية، طردوني من الجامعة.

ستيبان: لماذا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوينوف: في حصة التاريخ، سألني الأستاذ كيف بنى بطرس الأكبر مدينة سانت بطرسبرغ.

ستيبان: سؤال جيد.

فوينوف: أجبت، بالدم والسياط. ففُصلت فوراً.

ستيبان: وبعد ذلك؟

فوينوف: فهمت أن التحدث ضدّ الظلم لا يكفي، وأن عليك أن تضحي بحياتك لمحاربته. الآن أنا سعيد.

ستيبان: والآن، أنت تكذب؟

فوينوف: أكذب. لكنني لن أكذب بعد الآن في اليوم الذي ألقي فيه القنبلة. (نقرتان على الجرس، ثم واحدة أخرى. تسرع دورا إلى الباب).

أنينكوف: إنه يانيك.

ستيبان: هذه ليست الإشارة نفسها.

أنينكوف: يانيك يحبّ العبث بها. لديه إشارة خاصة به. (يهزّ ستيبان كتفيه. يسمع صوت دورا في غرفة الانتظار. دخلت دورا وهي ممسكة بيد كالييف، وهما يضحكان).

دورا: يانيك، هذا ستيبان الذي سيحلّ محلّ شفايتسر.

كالييف: مرحباً أخي.

ستيبان: شكراً لك. (تجلس دورا وكالييف في مواجهة الآخرين).

أنينكوف: يانيك، هل أنت متأكد أنك ستتعرف على العربة؟

كالييف: نعم، تجاوزتها وأنا أمرّ مرتين. يمكنني معرفتها من بين ألف عربة. لاحظت التفاصيل كلها. على سبيل المثال، زجاج المصباح الأيسر مكسور.

فوينوف: والمخبران؟

كالييف: أعرف الكثير منهم. نحن أصدقاء قدامى. وهم يشترون لي سجائر. (يَضحك. يَضحك).

أنينكوف: هل أكّد بافل المعلومة؟

كالييف: سيذهب الدوق الأكبر إلى المسرح هذا الأسبوع، سيعرف بافل اليوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالتحديد، وسيترك رسالة مع البواب. (يستدير نحو دورا ويضحك). إننا محظوظان.

دورا تنظر إليه: لم تعد بائعاً بعد الآن! أنت الآن سيد عظيم. تبدو رائعاً. ألا تندم على تخليك عن التنكر؟

كالييف (يضحك): صحيح أنني كنت فخوراً جداً بذلك.(ينظر إلى ستيبان وأنينكوف): قضيت شهرين في مراقبة البائعين، وأكثر من شهر أتدرب في غرفتي، وزملائي في العمل لم يكن لديهم أدنى فكرة، قالوا بأني بائع عظيم يمكنه بيع الجياد للقيصر، وقد حاولوا جميعاً تقليدي.

دورا: أنت تمزح بالتأكيد.

كالييف: أنتِ تعرفين أنني لا أستطيع التخلي عن هذا التنكر، وعن هذه الحياة الجديدة، كل شيء يسليني.

دورا: لا أحبّ التنكر. (تستعرض فستانها). هذا الزي الفخم! كان بإمكان بوريا أن يجلب لي شيئاً آخر.

كالييف ضاحكاً: تبدين جميلة بهذا الثوب.

دورا: جميلة! أنا سعيدة بوجودي هنا، لكننا لسنا بحاجة إلى التفكير في هذا الأمر.

كالييف: لم لا؟ عيناكِ دائماً حزينة يا دورا. ينبغي أن تكون سعيدة، ينبغي أن يملأها الفخر. الجمال موجود، الفرح موجود! في الأماكن الهادئة حيث يتمنى لك قلبي...

دورا (تبتسم):... أتنفس النسيم الأبدي.

كالييف: أوه! دورا، تتذكرين تلك القصيدة. *وقتها كنتِ تبتسمين* أنا سعيد للغاية.

ستيبان، يقاطعهما: نحن نضيع الوقت. بوريا، أعتقد أننا سنحتاج إلى تحذير البواب؟ (ينظر إليه كالييف مندهشاً).

أنينكوف: حسناً. دورا، هلا ذهبت وتدبرت الأمر؟ لا تنسي البقشيش، وسوف يساعدك فوانوف في تجميع كل شيء في الغرفة. (خرج ستيبان يمشي نحو أنينكوف بخطى حازمة).

ستيبان: أريد إلقاء القنبلة.

أنينكوف: لا، ستيبان. لقد قررت من سيفعل ذلك.

ستيبان: أتوسل إليك. أنت تعرف ماذا يعني هذا بالنسبة إلي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: لا! القواعد هي القواعد (صمت). لن أقوم برميها أيضاً؛ لا بد لي من الانتظار هنا. القواعد صعبة على الجميع.

ستيبان: من الذي سيلقي القنبلة الأولى؟

كالييف: أنا سأرمي القنبلة الأولى، وفوينوف سيرمي الثانية.

ستيبان: أنت؟

كالييف: هل يفاجئك ذلك؟ ألا تثق بي؟

ستيبان: أنت بحاجة إلى تجربة.

كالييف: تجربة؟ أنت تعلم جيداً أنك ترميها لمرة واحدة فقط...لم يقم أحد من قبل بإلقاء قنبلتين.

ستيبان: يجب أن يكون لديك يد قوية.

كالييف (يظهر يديه): انظر، هل تعتقد أنهما سوف ترتجفان؟ (يبتعد ستيبان). لا تهتزان أبداً. ماذا؟ سيكون هذا الطاغية أمامي، هل تعتقد أنني سأتردد؟ كيف تصدق ذلك؟ وحتى لو اهتزت يدي، فأنا أعرف طريقة أخرى لقتل الدوق الأكبر.

أنينكوف: كيف؟

كالييف: ألقي بنفسي تحت أقدام الخيول. (يحني ستيبان كتفيه، ويذهب للجلوس في الخلف).

أنينكوف: لا، هذا ليس ضرورياً. حاول البقاء فالمنظمة بحاجة إليك، يجب أن تحافظ على نفسك.

كالييف: سأطيع بوريا! يا له من شرف، يا له من شرف لي! أوه، سأكون جديراً به.

أنينكوف: ستيبان، ستكون في الشارع بينما يذهب يانيك وأليكسيس باتجاه العربة. سوف تمرّ العربة من تحت نوافذنا وستحصل على إشارة. سأنتظر أنا ودورا هنا حتى يحين موعد إصدار البيان. وقتها سيُقضى على الدوق الأكبر.

كالييف (في ابتهاج): نعم، سأقضي عليه! أيّ سعادة إذا نجحنا! الدوق الأكبر لا شيء، سنقضي على الأعلى منه.

أنينكوف: أولاً الدوق الأكبر.

كالييف: وإذا فشلنا يا بوريا؟ سيتعيّن علينا تقليد اليابانيين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: ماذا تقصد؟

كالييف: في الحرب، لا يستسلم اليابانيون...! يموتون.

أنينكوف: لا، لا تفكر في الانتحار.

كالييف: بماذا إذاً؟

أنينكوف: بالإرهاب الجديد الذي سنصنعه.

ستيبان (يتحدث من الخلف): حتى تقتل نفسك، يجب أن تحبّ نفسك كثيراً. الثوري الحقيقي لا يمكنه أن يحبّ نفسه.

كالييف (يعود إليه بسرعة): ثوري حقيقي؟ لماذا تعاملني بهذه الطريقة! ما الذي فعلته لك؟

ستيبان: لا أحبّ الأشخاص الذين يصبحون ثواراً لأنهم يشعرون بالملل.

أنينكوف: ستيبان!

ستيبان (تنبّه وجاء نحوهم): نعم، أنا قاسٍ. لكن بالنسبة إلي، الكراهية ليست لعبة. لسنا هنا لنعجب بأنفسنا. نحن هنا لتحقيق النجاح.

كالييف (بهدوء): بماذا أسيء لكم؟ من قال إنني مللت؟

ستيبان: لا أعرف. أنت تغيّر الإشارات، تحبّ أن تلعب دور البائع، تقرأ الشعر، تريد أن تلقي بنفسك تحت أقدام الخيول، والآن تريد قتل نفسك. (نظر إليه): أنا لا أثق بك.

كالييف: أنت لا تعرفني يا أخي. - أحبّ الحياة أنا لم أيأس، دخلت الثورة لأني أحبّ الحياة.

ستيبان: أنا لا أحبّ الحياة. أنا أحبّ العدل، والعدل أعلى قيمة من الحياة.

كالييف (بجهد واضح): كلّ شخص يخدم العدالة كيفما يستطيع. يجب أن نقبل أننا مختلفون. ويجب أن نحبّ بعضنا بعضاً، إن استطعنا.

ستيبان: لا نستطيع.

كالييف: إذن ماذا تفعل معنا؟

ستيبان: لقد جئت إلى هنا لأقتل رجلاً، لا لأحبّ أحداً، أو لأحيي خلافاتنا.

كالييف (بعنف): لا تقتلونه باسم لا شيء. أنتم تقتلونه معنا وباسم الشعب الروسي. هذا هو (تبريرك)؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان (بالأسلوب نفسه): لست بحاجة إليه. لقد بررت في إحدى الليالي منذ ثلاث سنوات كل شيء في السجن، ولن أبرر الآن...

أنينكوف: كفى! هل أصابكما الجنون؟ ألا تعرفان من نكون؟ نحن إخوة، لماذا يهين بعضكم البعض الآخر، عملُنا إعدام الطغاة، من أجل تحرير هذا البلد! نحن نقتل معاً ولا شيء يمكن أن يفرّق بيننا. (هدوء). (ينظر إليهم): هيا، ستيبان، نحن بحاجة لنتفق على الإشارات. (يرحل ستيبان غاضباً من كاليف) لا شيء. لقد مرّ ستيبان بالكثير. أنا سأكلمه.

كالييف (شاحب جداً): شتمني يا بوريا. (دخلت دورا).

دورا (تطالع وجه كالييف): ما الخطب؟

كالييف: نحن نتقاتل بالفعل. أنا؟ إنه لا يحبّني.(جلست دورا صامتة لمدة دقيقة).

دورا: لا أعتقد أنه يحبّ أي شخص. عندما ينتهي كل شيء، سيكون أكثر سعادة! لا تحزن.

كالييف: أنا حزين. أحتاج أن أكون محبوباً من قبلكم جميعاً. لقد تركت كل شيء من أجل هذا، كيف أواجه الأمر إذا ابتعد إخوتي عني؟ أشعر أحياناً أنهم لا يفهمونني. هل هذا خطأي؟ أنا أخرق، أعرف.

دورا: يحبونك ويفهمونك، ستيبان مختلف.

كالييف: لا، أنا أعرف بماذا يفكرون، شفايتسر قال ذلك بالفعل. غريب جداً أن تكون ثورياً. أودّ أن أوضح لهم أنني لست غريباً. يعتقدون أنني مجنون، عفوي للغاية. ولكني مثلهم، أنا أؤمن بالفكرة، ومثلهم أريد أن أضحي بنفسي. أنا أيضاً، يمكنني أن أكون ماهراً، وهادئاً، وأكذب، وأخفي نفسي. لكن بالنسبة إليّ الحياة ما زالت تبدو رائعة. أحبّ الجمال والسعادة! لهذا أكره الطغيان. كيف أفسّر الأمر لك؟ الثورة طبعاً! لكن ثورة مدى الحياة، لإعطاء الناس فرصة في الحياة، هل تفهمين؟

دورا: نعم. (بصوت أكثر نعومة) ومع ذلك، سوف تُقدّم للموت.

كالييف: من نحن؟ أنت تقصدين..؟ هذا ليسَ الشيء نفسه، لا! هذا ليسَ الشيء نفسه، نحن نموت من أجل بناء عالم لا يضطر فيه أحد إلى القتل مرة أخرى! نحن نقبل أن نكون مجرمين حتى تمتلئ الأرض أخيراً بالأبرياء.

دورا: وإذا لم يكن الأمر كذلك؟

كالييف: اصمتي، أنتِ تعلمين أن هذا مستحيل. سيكون ستيبان على حقّ حينها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيكون صفعة على وجه الجمال.

دورا: أنا أقدمُ منك في المنظمة. أعلم أنه لا يوجد شيء بسيط. لكنك تثق به. كلنا نحتاج إلى الإيمان.

كالييف: الإيمان؟ شخص واحد فقط لديه ذلك.

دورا: لديك قوة الروح، وستترك كل شيء وراءك لتصل إلى النهاية. لماذا طلبت إلقاء القنبلة الأولى؟

كالييف: هل يمكنك التحدث عن عمل إرهابي دون أن تكون جزءاً منه؟

دورا: لا.

كالييف: عليك أن تكون في الصف الأول.

دورا التي يبدو أنها تفكّر: نعم. هناك الصف الأول، وهناك تلك اللحظة الأخيرة. يجب أن نفكّر في ذلك. هذا هو المكان الذي توجد فيه الشجاعة، والبهجة التي نحتاجها... التي تحتاجها.

كالييف: لمدة عام، لم أفكّر في أي شيء آخر. هذه اللحظة هي سبب بقائي حتى الآن. وأنا أعلم الآن أنني أريد أن أموت في حينها، بجانب الدوق الأكبر. أفقد دمائي حتى اللحظة الأخيرة، أو أحترق كلياً مرة واحدة، في لهيب الانفجار، ولا أترك شيئاً ورائي. هل تفهمين لماذا طلبت إلقاء القنبلة؟ أريد أن أموت من أجل الفكرة، فهذه هي الطريقة الوحيدة لتكون حقاً في قمة الفكرة. هذا هو المسوغ.

دورا: أنا أيضاً أريد هذا النوع من الموت.

كالييف: نعم، هذا خير يمكن للمرء أن يُحسد عليه. في الليل، أعود أحياناً إلى منصة عربة البائع. فكرة واحدة تعذبني: لقد صنعوا منا قتلة. لكني أعتقد في الوقت نفسه أنني سأموت، ويهدأ قلبي. أبتسم، كما ترين، وأعود إلى النوم كطفل.

دورا: هذه أفضل طريقة، يانيك. تقتل ثم تموت. لكن في رأيي، هناك صلاح أكبر. (صمت. ينظر إليها كالييف. تخفض عينيها). المشنقة!

كالييف محموم: لقد فكرت في الأمر. الموت في لحظة الاغتيال يترك شيئاً غير مكتمل. بين الاغتيال والمشنقة من ناحية أخرى هناك خلود، لعله للرجل فحسب.

دورا، بصوت عاجل، ممسكة بيديه: هذا هو الفكر الذي سيساعدك. نحن ندفع أكثر مما ندين به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالييف: ماذا تقصدين؟

دورا: نحن ملزمون بالقتل، صحيح؟ نحن نضحي عمداً بحياة واحدة، على الرغم من أننا سنعيش حياة واحدة فحسب؟

كالييف: نعم.

دورا: ولكن الاغتيال أولاً ثم المشنقة يعني أن تضحي بحياتك مرتين. نحن ندفع أكثر مما ندين به.

كالييف: نعم، نحتضر مرتين. شكراً لكِ (دورا) لا أحد يستطيع أن ينتقدنا. الآن، أنا متأكد من نفسي. (هدوء). ماذا يا دورا؟ أليس لديك شيء آخر تقولينه؟

دورا: مازلت أودّ مساعدتك، عدا أن...

كالييف: عدا ماذا؟

دورا: لا أنا مجنونة.

كالييف: أنتِ لا تثقين بي؟

دورا: لا عزيزي، أنا لا أثق بنفسي. فمنذ وفاة شفايتسر خطرت لي أغرب الأفكار. وليس لي أن أخبرك بما سيكون صعباً.

كالييف: أحبّ الأشياء الصعبة. إذا كنت تقدرينني، تحدثي.

دورا تنظر إليه: أعرف أنك شجاع، وهذا ما يقلقني. أنت تضحك، وتفتخر بهذا، وتمشي نحو تضحيتك بكل إخلاص. لكن في غضون ساعات قليلة، سيكون عليك أن تترك هذا الحلم وتتصرف. ربما يكون من الأفضل التحدث مسبقاً لتجنب المفاجأة أو الضعف.

كالييف: ليس لدي أي ضعف، أخبريني بماذا تفكرين.

دورا: حسناً، الاغتيال، المشنقة، الموت مرتان، كل هذا أسهل، قلبك يكفي لذلك. لكن في المقدمة... (إنها هادئة، تنظر إليه ويبدو أنها مترددة). سوف تراه في المقدمة.

كالييف: من؟

دورا: الدوق الأكبر.

كالييف: لثانية فقط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: عليك أن تنظر إليه ثانية! أوه! يانيك، يجب أن تعرف، يجب تحذيرك. الرجل هو رجل. قد يكون للدوق الأكبر عيون رحيمة. قد تراه يرمش أو يبتسم بسعادة. من يدري، قد يكون لديه خدش موس صغير. وإذا نظر إليك فوراً...

كالييف: أنا لا أقتله، بل أقتل الاستبداد.

دورا: طبعاً، علينا أن نقتل الاستبداد. لقد صنعتُ القنابل وكان التعامل مع الصمامات الجزء الأصعب، كما تعلم، وبخاصة عندما تكون أعصابك متوترة، وكنت سعيدة من كل قلبي. لكنني لا أعرف الدوق الأكبر، وسيكون الأمر أكثر صعوبة إذا كان جالساً أمامي بينما أقوم بذلك. سوف تراه عن قرب، سيكون قريباً جداً.

كالييف (بعنف): لن أراه.

دورا: كيف؟...ستغلق عينيك؟

كالييف: لا، لكن بعون الله، سأشعر بالكراهية في الوقت المناسب وستعميني. لا يزالان يتحدثان حتى يدخل ستيبان وفوينوف، وصوت في غرفة الانتظار. (يدخل أنينكوف).

أنينكوف: كان هذا البواب. الدوق الأكبر سيذهب إلى المسرح غداً.(ينظر إليهم): كل شيء يجب أن يكون جاهزاً يا دورا.

دورا (حزينة): حسناً.(تغادر ببطء).

كالييف (يراقبها وهي تغادر، ثم يستدير نحو ستيبان): سأقتله بسعادة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

مساء اليوم التالي. المكان نفسه... (أنينكوف يقف أمام النافذة، ودورا تقف أمام الطاولة).

أنينكوف: إنهم في مكانهم. أشعل ستيبان سيجارته للتو.

دورا: متى يفترض أن يمرّ الدوق الأكبر؟

أنينكوف: بعد دقيقة واحدة فقط. اسمع أليست هذه عربة؟

دورا: اجلس، تحلّى بالصبر.

أنينكوف: وماذا عن القنابل؟

دورا: اجلس، لا يسعنا فعل شيء آخر.

أنينكوف: نعم نستطيع، نحسدهم.

دورا: أنت القائد، مكانك هنا.

أنينكوف: أنا القائد، لكن يانيك أفضل مني، لأنه الذي سيقوم بذلك.

دورا: الخطر هو نفسه بالنسبة إلينا جميعاً، لمن يرمي القنابل ولمن يخطط لذلك.

أنينكوف: الخطر هو نفسه في النهاية، لكن يانيك وأليكسيس الآن في مرمى النيران. أعلم أنني لا أستطيع أن أكون معهما. ومع ذلك، أخشى أحياناً الموافقة بسهولة على هذا الدور. من المريح بعد كل شيء، أن تُجبر على عدم إلقاء القنبلة بنفسك.

دورا: ومتى ذلك؟ المهم هو أن تفعل ما يجب عليك حتى النهاية.

أنينكوف: كيف يمكنك أن تكوني بهذا الهدوء؟!

دورا: لست هادئة، أنا متحجرة. أنا معك منذ ثلاث سنوات، أصنع القنابل لمدة عامين. لقد فعلت كل شيء، ولا أعتقد أنني نسيت أي شيء.

أنينكوف: بالطبع لم تنسي أي شيء يا دورا.

دورا: لقد مرت ثلاث سنوات وأنا خائفة، وهو نوع من الخوف الذي يتراجع قليلاً عندما تنام، لكنك تستعيده منتعشاً في الصباح. لذلك كان عليّ أن أعتاد عليه. لقد تعلمت أن أكون هادئة عندما أكون حقاً في حالة تخوّف. إنه ليس شيئاً يمكنك أن تكون فخوراً به عندما تذهب إلى النوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: على العكس، كوني فخورة جداً! أنا، لم أحصل على تعليق منه. هل تعلمين أنني أتأسف على الأيام الخوالي، على تلك الحياة المجيدة والنساء. أوه، لقد أحببت النساء، والخمر، تلك الليالي التي لا تنتهي.

دورا: لا أشك في ذلك، بوريا. لهذا أحببتك بهذا القدر، قلبك لم يمت. حتى لو كنت لا تزال تحلم بهذه الملذات، فهذا أفضل من الصمت الذي يسيطر عليّ.

أنينكوف: ماذا تقصدين؟ أنتِ؟ لا، مستحيل.

دورا: اسمع. (تنظر وتحكي بفظاظة). (ضجيج عربة): لا، ليس هو.. قلبي يُقصف، لم يتعلم شيئاً بعد.

أنينكوف (يتجه نحو النافذة: أنتظر إشارة ستيبان!) إنه هو (ضوضاء متدحرجة في الخلفية تأتي أسفل النوافذ ثم تتلاشى). (صمت طويل). بعد عدة ثواني (يستمعون).إنه يحتاج وقتاً أطول. (تقوم دورا بإشارة. صمت طويل، ثم تسمع الأجراس من بعيد). هذا مستحيل كان ينبغي على يانيك إلقاء القنبلة الآن. يجب أن تكون العربة قد وصلت بالفعل إلى المسرح! و(ألكسيس). انظري! يرجع ستيبان إلى الخلف، ويركض نحو المسرح.

دورا (ترمي نفسها عليه): تمّ القبض على يانيك! لابد وأنه كذلك. ينبغي أن نفعل شيئاً مثل رفائيل؟

أنينكوف: انتظري. (يستمعان). لا، انتهى الأمر.

كيف حدث هذا؟

لا أعرف، يانيك، تم القبض عليه دون أن يفعل أي شيء! كان مستعداً لكل شيء. أعلم، أراد السجن والمحاكمة، لكن بعد أن يقتل الدوق الأكبر! ليس بهذه الطريقة، لا، ليس بهذه الطريقة!

أنينكوف (ينظر إلى الخارج): فوينوف! بسرعة! (ذهبت دورا للسماح له بالدخول. دخل فوينوف). الكسيس، بسرعة، أخبرنا!

فوينوف: لا أعرف شيئاً، كنت أنتظر القنبلة الأولى، رأيت العربة تنعطف ولكن لم يحدث شيء. فقدت صوابي، اعتقدت أنك غيّرت الخطة في اللحظة الأخيرة؛ ترددت. ثم جريت إلى هنا.

أنينكوف: ويانيك؟

فوينوف: لم أره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: تمّ القبض عليه.

أنينكوف ما زال ينظر إلى الخارج: ها هوا! (ذهبت دورا للسماح له بالدخول. دخل كالييف يبكي).

كالييف: أيها الإخوة سامحوني، لم أستطع. (دورا تتجه نحوه، وتمسك بيده).

دورا: لا عليك!

أنينكوف: ماذا حدث؟

دورا إلى كالييف: لا تبالي. في بعض الأحيان في اللحظة الأخيرة تتغير الأحداث، كل شيء يسير على ما يرام.

أنينكوف: لكن هذا مستحيل.

دورا: فليكن، أنت لست الوحيد يا يانيك. لم يستطع شفايتسر في المرة الأولى أيضاً.

أنينكوف: يانيك، هل كنت خائفاً؟

كالييف (يقفز عليه): خائف، لا. بربّك، أخبرني. (الإشارة المعتادة. يترك فوينوف أنينكوف، يلقي كالييف بنفسه على الأريكة، يدخل ستيبان).

أنينكوف: حسناً؟

ستيبان: كان هناك أطفال في العربة.

أنينكوف: أطفال؟

ستيبان: ابنة أخ الدوق الأكبر وابن أخته.

أنينكوف: لقد قال أورلوف إنه من المفترض أن يكون الدوق الأكبر بمفرده.

ستيبان: كانت الدوقة الكبرى هناك أيضاً. أعتقد أن هذا كان حشداً كبيراً جداً لشاعرنا. لحسن الحظ، لم يرَ المخبرون شيئاً.(تحدث أنينكوف بهدوء إلى ستيبان. ينظر الجميع إلى كالييف، الذي ينظر إلى ستيبان).

كالييف: لم أستطع التنبؤ بهذا... الأطفال، أولئك الأطفال على الأخص. هل سبق لك أن نظرت إلى الأطفال الصغار؟ تلك النظرة الجادة التي لديهم في بعض الأحيان... لم أتحمّل ذلك، لكن قبل دقيقة، كنت سعيداً في زاوية الميدان الصغير. عندما بدأ نور مصابيح العربة يظهر من بعيد، كان قلبي يخفق بفرح، أقسم بذلك. لقد كان صوت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قلبي أقوى يرتفع مع ارتفاع صوت انعطاف العربة. أحدثت الكثير من الضوضاء بداخلي. أعتقد أنني كنت أضحك. وكنت أقول، نعم، نعم. أتفهمني؟ (توقف عن النظر إلى ستيبان واستأنف وضعه السابق). ركضت نحو العربة... وبعدها رأيتهما لم يكونا يضحكان، كانا ممسكين ببعضهما ومنتصبين ولم ينظرا إلى أي شيء، بدوا حزينين جداً! شاردي الذهن، أيديهما مطوية باتجاه الأبواب على كلا الجانبين. لم أرَ الدوقة الكبرى. رأيتهما فقط. لو نظرا إلي، أعتقد أنني كنت سألقي القنبلة. لأخلصهما من تلك النظرة الحزينة على الأقل. لكنهما نظرا إلى الأمام مباشرة. (يرفع عينيه نحو الآخرين). لا أعرف ما الذي حدث...لا أعرف، ضعفت ذراعي، وارتجفت ساقاي. بعد ثانية واحدة، كان الأوان قد فات. (هدوء). (ينظر إلى الأرض): دورا، هل كنت أحلم، ظننت أنني سمعت رنين الأجراس؟

دورا: لا، يانيك، ما كنت تحلم. (تضع يدها على ذراعه. يرفع كاليف رأسه إلى الأعلى، ويراهم جميعهم يتجهون نحوه. وهو ينهض).

كاليف: انظروا إليّ، أيها الإخوة، انظروا إليّ، بوريا، أنا لست جباناً، ولم أخرج. لم أكن أنتظرهما. كل شيء حدث بسرعة كبيرة. هذان الوجهان الصغيران الجديان وفي يدي ذلك الحِمل المريع. كدت أرميها عليهم. لا! لم أستطع. (ينظر كل منهم إلى الآخر). في الماضي، عندما كنت أقود السيارة في أوكرانيا، كنت أطير مثل الريح، لم أكن خائفاً من أي شيء. لا شيء في العالم يخيفني سوى أن أدهس طفلاً؛ تخيلت الدهسة، ذلك الرأس الهشّ يضرب الطريق... (هادئ) ساعدوني... (صمت) كنت أريد قتل نفسي. عدت لأنني اعتقدت أني أدين لكم بشرح، وأنكم ستحكمون عليّ، وستخبرونني إن كنت على صواب أو على خطأ، وأنكم لا تستطيعون أن تكذبوا على أنفسكم. لكنكم لم تقولوا أي شيء. (تأتي دورا لتلمسه. ينظر إلى الجميع، ويتحدث بصوت منخفض) لذا أقترح. إذا قررتم أنه يجب علينا قتل الأطفال، فسوف أنتظر خروجهم من المسرح وسأرمي القنبلة على العربة. أعلم أنني لن أفوت الهدف. قرروا، وسأطيع المنظمة.

ستيبان: طلبت منك المنظمة أن تقتل الدوق الأكبر.

كاليف: هذا صحيح، لكنها لم تطلب مني قتل الأطفال.

أنينكوف: يانيك على حق، لم نتوقع هذا.

ستيبان: كان يجب أن يطيع الأوامر.

أنينكوف: أنا مسؤول عن هذا، كان يجب التخطيط لكل الاحتمالات، عندها لن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتردد أحد بشأن ما عليه القيام به. الآن يجب أن نقرر ما إذا كنا سنتخلى عن هذه المحاولة أم نطلب من يانيك الانتظار حتى يغادروا المسرح. (ألكسيس)؟

فوينوف: لا أعرف. أعتقد أنني كنت سأفعل الشيء نفسه مثل يانيك. لستُ واثقاً كثيراً من نفسي.(بهدوء) يداي ترتجفان.

أنينكوف: دورا؟

دورا، بعنف: كنت سأتوقف، مثل يانيك. كيف يمكنني مطالبة الآخرين بفعل أشياء لا أستطيع فعلها بنفسي؟

ستيبان: هل تدركون جميعاً ما يعنيه هذا القرار؟ شهران من المراقبة، مع كثير من المخاطر التي واجهناها وتجنبناها، ضاع شهران، دون فائدة. اعتقل إيجور من أجل لا شيء. تم شنق ريكوف من أجل لا شيء. سنبدأ من جديد، وسيكون هناك المزيد من الأسابيع الطويلة في المراقبة الليلية والحيل، وسنعاني من التوتر الذي لا ينتهي قبل فرصة أخرى؟ شرذمة ملعونة!

أنينكوف: تعلم أنه في غضون يومين سيذهب الدوق الأكبر إلى المسرح مرة أخرى.

ستيبان: يومان آخران، نخاطر بأن يتم القبض علينا خلالهما؛ قلت ذلك بنفسك.

كالييف: سأرحل.

دورا: انتظر... (إلى ستيبان): هل يمكنك يا ستيبان أن ترمي قنبلة على طفل وعيناك مفتوحتان؟

ستيبان: أستطيع إذا أمرت المنظمة.

دورا: لماذا عيناك مغلقتان؟

ستيبان: هل هما مغلقتان؟

دورا: نعم.

ستيبان: فقط لتخيل الموقف بشكل أفضل، وليكون ردّي وأنا على علم بالحقائق.

دورا: افتح عينيك، وافهم أن المنظمة ستفقد كل قوتها وتأثيرها إذا ما تغاضت عن إصابة طفل آخر بقنابلنا.

ستيبان: لا يمكنني تحمّل المزيد من هذه التفاهة. عندما نقرر ننسى أمر الأطفال. وسنكون في ذلك اليوم أسياد العالم، وستنتصر الثورة.

دورا: في ذلك اليوم ستكون الثورة مكروهة من قبل البشرية جمعاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: ما أهمية العالم كله إذا كنّا أقوياء بما يكفي لفرض أنفسنا عليهم وإنقاذهم من أنفسهم ومن عبوديتهم؟

دورا: وماذا لو رفضت البشرية جمعاء الثورة؟ وماذا لو كان كل من تقاتل من أجله يرفض قتل أطفالهم؟ هل سيتعيّن علينا إجبارهم؟

ستيبان: نعم، إذا لزم الأمر، حتى يفهموا. أنا أيضاً أحبّ الناس.

دورا: الحبّ لا يشبه ذلك.

ستيبان: من يقول ذلك؟

دورا: أنا، دورا.

ستيبان: أنت امرأة ولديك فكرة خاطئة عن الحبّ.

دورا، بعنف: لكن لدي فكرة صحيحة عن العار.

ستيبان: لقد شعرت بالخجل من نفسي مرة واحدة فحسب، وكان ذلك خطأ الآخرين، عندما جلدوني، لأنهم جلدوني بالسوط. أتدرين ما معنى هذا؟! كانت فيرا بجانبي وقتلت نفسها احتجاجاً. أنا عشت هذا كله. ما الذي سيجعلني أخجل الآن؟

أنينكوف: ستيبان، الجميع هنا يحبّك ويحترمك. ولكن مهما كانت أسبابك، لا يمكنني السماح لك بالقول إن كل شيء مسموح به. لقد مات المئات من إخواننا حتى نعرف أن كل شيء غير مسموح به.

ستيبان: لا شيء محظور يمكن أن يساعد قضيتنا.

أنينكوف غاضباً: هل من الصواب الانضمام إلى الشرطة واللعب على الوجهين، كما اقترح إيفنو؟ أتفعل هذا.

ستيبان: نعم، إذا احتجنا إلى ذلك.

أنينكوف، تنبه: ستيبان، سننسى ما قلته للتو، بالنظر إلى كل ما فعلته لنا ومعنا. تذكر هذه القضية فحسب، نريد أن نعرف ما إذا كنّا سنلقي بالقنابل على هذين الطفلين في غضون ساعات قليلة.

ستيبان: أطفال! أهذا كل ما لديكم؟ ألا تفهمون شيئاً؟ إن ملايين الأطفال الروس سيموتون جوعاً في السنوات القليلة المقبلة لأن يانيك لم يقتل هذين الاثنين. هل سبق ورأيت أطفالاً يموتون جوعاً؟ أنا رأيت، والموت بقنبلة هو نسيم بجانب هذا الموت. لكن يانيك لم يرهم. لم يرَ سوى الكلبين الذكيين للدوق الأكبر. ألستم بشراً؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هل تعيشون الآن في الوقت الحاضر فحسب؟ إذاً اختاروا اللطف وأصلحوا شقاء اليوم، بدلاً من الثورة التي ستعالج الشرور الحاضرة كلها والشرور التي ستأتي.

دورا: يانيك يقبل أن يقتل الدوق الأكبر، لأن موته سيؤدي مع الوقتإلى يوم لن يموت فيه الأطفال الروس من الجوع. هذا في حدّ ذاته ليس بالأمر السهل. لكن وفاة ابنة أخ الدوق الأكبر وابن أخته لن يمنع موت طفل واحد. حتى في حالة التدمير والقتل، هناك نظام، وهناك حدود.

ستيبان بعنف: لا حدود، الحقيقة أنكم جميعاً لا تؤمنون بالثورة. (ينهض الجميع بسرعة، باستثناء يانيك)،لا تؤمنون بها. لوكنتم تؤمنون بها تماماً، لكنت متأكداً أننا من خلال تضحياتنا وانتصاراتنا سنبني روسيا خالية من الاستبداد، وستنتشر الحرية في العالم بأسره في النهاية، وإذا لم تشكوا في ذلك، سيصعد إلى السماء ليحاسب الحساب الحقيقي، فماذا يعني موت طفلين مقابل ذلك؟ أنتم تتذكرون كل شيء، كل تلك الحقوق، أتسمعوني. وإذا أوقفكم هذا الموت، فذلك لأنكم لستم متأكدين تماماً من أنكم على حق. أنتم لا تؤمنون بالثورة. (هدوء). (كالييف يتنبه).

كالييف: ستيبان، أشعر بالخجل من نفسي. ولا يمكنني أن أجعلك تسترسل. تقبل قتل شخص ما لتدمير هذه الديكتاتورية. أرى بعد ما قلته، طغياناً جديداً قادماً. وهو أمر، إذا تحقق على أرض الواقع، فسيجعلني قاتلاً عندما أحاول أن أكون صانع العدالة.

ستيبان: ما الذي يهم إذا لم تكن صانع العدالة. العدالة إن تحققت حتى على يد القتلة؟ أنا وأنت لا شيء.

كالييف: نحن شيء، وأنت تعرف ذلك جيداً، لأنك تحدثت اليوم باسم كبريائك.

ستيبان: كبريائي يخصّني وحدي فحسب. أمّا كبرياء الرجال، وثورتهم، والظلم الذي يعيشون في ظله، هذا من شأننا جميعاً.

كالييف: الرجال لا يعيشون بالعدل وحده.

ستيبان: عندما يسرق شخص ما خبزهم، فكيف سيعيشون إن لم تكن هنا كعدالة؟

كالييف: سيعيشون بالعدالة والبراءة.

ستيبان: البراءة؟ نعم، ربما أعرف معناها. لكنني اخترت أن أتجاهلها كما تجاهلها ملايين الرجال، بحيث يمكن أن تأخذ يوماً ما معنى أكبر.

كالييف: عليك أن تكون على يقين تام من أن ذلك اليوم سيأتي لتدمير كل ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجعل الرجل على استعداد للبقاء على قيد الحياة.

ستيبان: أنا متأكد من ذلك.

كالييف: لا يمكنك أن تكون كذلك. فلمعرفة من منّا على حقّ سنحتاج إلى تضحيات، ربما ثلاثة أجيال وكثير من الحروب والثورات الرهيبة. عندما يجفّ نجيع الدم هذا على الأرض نكون قد اختلطنا أنا وأنت بالتراب منذ فترة طويلة.

ستيبان: سيأتي الآخرون بعد ذلك، وأنا أحييهم كأخوتي.

يحتجّ كالييف: الآخرون.. نعم! لكني أحبّ أولئك الذين يعيشون اليوم، على نفس الأرض مثلي، وهم من أحييهم؛ أنا أقاتل من أجلهم. ومن أجلهم أنا على استعداد للموت. وبالنسبة إلى مدينة مستقبلية بعيدة لست متأكداً منها، لن أصفع وجوه إخوتي. لن أضيف ظلماً إلى الظلم المعاش من أجل عدالة ميتة. (أكثر ليونة، لكن بحزم) أيها الإخوة، أريد أن أتحدث بصراحة وأن أقول لكم على الأقل ما يمكن أن يقوله أبسط الفلاحين: قتل الأطفال فعل منفصل عن الشرف، وإذا انفصلت الثورة يوماً ما عن الشرف، فسأبتعد عنها. إذا قررتم ذلك، سأذهب إلى مَخرج المسرح، ولكن سألقي بنفسي تحت الخيول.

ستيبان: الشرف هو رفاهية مخصصة للأشخاص الذين يستطيعون شراء العربات.

كالييف: لا. إنه آخر ما يملكه الفقراء. أنت تعرف ذلك جيداً، وتعرف أيضاً أن هناك شرفاً داخل الثورة. لهذا السبب نقبل الموت. وهو ما وضعك تحت السوط يوماً ما، وهو ما جعلك تتحدث اليوم.

ستيبان، في صرخة: اخرس. لا أستطيع التحدث عن ذلك.

كالييف: لماذا أصمت؟ لن أدعك تقول إنني لا أؤمن بالثورة. هذا يعني أنني كنت قادراً على قتل الدوق الأكبر من أجل لا شيء، وأنني قاتل. سمحت لك بقول ذلك ولم أضربك.

أنينكوف: يانيك!

ستيبان: من الأفضل أن تقتل من أجل لا شيء في بعض الأحيان على ألا تقتل ما يكفي.

أنونكوف: ستيبان، لا أحد هنا يتفق معك. يكفي هذا، لقد اتخذت القرار.

ستيبان: لذا سأذهب. لكني أكرر أن الإرهاب لا يتشكل بالطريقة التي يريدها الأشخاص الحساسون. نحن مروجون، وقد اخترنا أن نكون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالييف: لا، لقد اخترت أن أموت حتى لا ينتصر القتل. لقد اخترت أن أكون بريئاً.

أنينكوف: يانيك وستيبان، كفى! قررت المنظمة أن قتل الأطفال لا طائل من ورائه. سنبدأ من جديد، وعلينا أن نكون مستعدين في غضون يومين.

ستيبان: وإذا كان الأطفال لا يزالون هناك؟

أنينكوف: سننتظر فرصة أخرى.

ستيبان: وماذا لو رافقت الدوقة الكبرى الدوق الأكبر؟

كالييف: لن أبقي عليها.

أنينكوف: اسمعوا. (ضجيج عربة. يتم سحب كالييف بشكل لا يقاوم نحو النافذة. الآخرون ينتظرون. يقترب حامل الخراطيش، يمرّ أسفل النافذة، ثم يختفي).

فوينوف، ينظر إلى دورا، التي تأتي نحوه: نبدأ من جديد، دورا...

ستيبان، بلا ثقة: نعم، أليكسيس، نبدأ من جديد. لكن إن حدث هذا فمن أجل الشرف!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

(المكان نفسه، في **الوقت** نفسه)، (بعد يومين).

ستيبان: أين فوينوف؟ يجبُ أن يكونَ هنا. لكن كما تَرى.

أنينكوف: كان بحاجة إلى بعض النوم. ما زال لدينا نصف ساعة.

ستيبان: يمكنني الذهاب لمعرفة الأخبار.

أنينكوف: لا، علينا أن نبقى حذرين، ونحدّ من المخاطر. (صمت). يانيك، لماذا أنت هادئ؟

كالييف: ليس لدي ما أقوله، لا تقلق. (قرع للجرس) ثم (دخل فوينوف).

أنينكوف: هل نمت؟

فوينوف: نعم قليلاً.

أنينكوف: هل نمت طوال الليل؟

فوينوف: لا.

أنينكوف: كان عليك أن تنام. (هناك قرع للجرس).

فوينوف: حاولتُ، كنت متعباً جداً.

أنينكوف: يداك ترتعشان.

فوينوف: لا. (ينظر إليه الجميع).لمَ تنظرون إليّ؟ ألا يمكن أن أتعب؟

أنينكوف: يمكن أن تتعب.. نحن نفكّر في مصلحتك.

فوينوف، بعنف مفاجئ: كان ينبغي أن تفكّر في ذلك أول من أمس. لو تمّ إلقاء القنبلة قبل يومين، لما شعرت بالتعب بعدها.

كالييف: سامحني يا أليكسيس، أعلم أنني جعلت الأمور أكثر صعوبة.

فوينوف بهدوء: من قال ذلك؟ لماذا أكثر صعوبة؟ أنا تعب فحسب.

دورا: ستسير الأمور على نحو أسرع الآن، وسينتهي الأمر في غضون ساعة.

فوينوف: نعم، سينتهي الأمر. (ينظر إلى فراغ، تذهب إليه دورا وتمسك بيده، يتركها ويذهب، ثم يبتعد بغضب). بوريا، أريد أن أتحدث معك.

أنينكوف: وحدنا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوينوف: نعم، وحدنا. (ينظر كلاً منهما إلى الآخر).

أنينكوف: ما بك؟ (فوينوف هادئ). رجاءً أخبرني.

فوينوف: أشعر بالخجل يا بوريا. (صمت). كنت أريد أن أخبرك الحقيقة فحسب.

أنينكوف: ألا تريد إلقاء القنبلة؟

فوينوف: أنا لا أستطيع رميها.

أنينكوف: أنت خائف؟ أليس هكذا؟ هذا شيء لا يجب أن تخجل منه.

فوينوف: أخشى وأخجل من الخوف.

أنينكوف: لكنك كنت مرحاً وقوياً أول من أمس عندما غادرت، وكانت عيناك تلمعان.

فوينوف: لطالما كنت خائفاً. أول من أمس كنت قد حشدت شجاعتي، هذا كل شيء. عندما سمعت العربة تتحرك من بعيد، قلت لنفسي، هيا! بقيت دقيقة واحدة فحسب، وبدأت أسناني تصك. كانت أعصابي كلها متوترة. كنت سأرمي القنبلة بقوة كبيرة لدرجة أن الصدمة وحدها كانت كفيلة بقتل الدوق الأكبر. انتظرت الانفجار الأول لأفجر كل هذه الطاقة المتراكمة بداخلي. ومن ثم لا شيء، مرت العربة من جانبي. لقد كان الأمر سريعاً جداً، لقد فهمت أخيراً أن يانيك لم يلقِ القنبلة. وفي تلك اللحظة أصابتني قشعريرة رهيبة. فجأة شعرت بضعف كطفل رضيع.

أنينكوف: ذلك شيء ليسمهماً يا أليكسيس. ستنشط.

فوينوف: لقد مضى يومان ولم أنشط. كذبت عليك منذ دقيقة، لم أنم على الإطلاق الليلة الماضية. كان قلبي ينبض بصوت عالٍ جداً. أوه، بوريا، يبدو أنه ميؤوس مني.

أنينكوف: يجب ألا تكون كذلك. سنقوم نحن بذلك، نعم. لذا لن ترمي القنبلة الآن، شهر راحة في فنلندا، ثم ستعود إلينا.

فوينوف: لا، هذا شيء آخر، إذا لم أرمِ القنبلة اليوم، فلن ألقيها أبداً.

أنينكوف: لمَ لا.

فوينوف: أنا لست من صانعي الإرهاب. أجل، عليّ تجاهل الأمر. من الأفضل لو تركت هذه المجموعة، سأعمل مع الآخرين في الدعاية.

أنينكوف: المخاطر واحدة.

فوينوف: نعم، ولكن هناك يمكنك العمل وعيناك مغمضتان. وليست لديك أي فكرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن أي شيء.

أنينكوف: ماذا تقصد؟

فوينوف (محموم): هناك لا تعرف ما الذي سيحدث. من السهل عقد اجتماعات، ومناقشة المواقف، وحتى تبليغ أمر التنفيذ. أنت تخاطر بحياتك بهذه الطريقة بالتأكيد دون أن ترى شيئاً في النهاية. أن تقف بينما يحلّ الليل فوق المدينة، وسط حشد من العمال الذين يهرعون إلى منازلهم لتناول حسائهم الساخن، يحتضنون أطفالهم، ويشعرون بدفء النساء، أن تقف طويلاً وصامتاً مع ثقل القنبلة تحت ذراعك، وتعرف أنه في غضون ثلاث دقائق، دقيقتين، بضع ثوانٍ، سترمي القنبلة أمام عربة متحركة، هذا هو الرعب. والآن أعلم أنني لا أستطيع أن أقوم بفعل ذلك مرة أخرى دون الشعور بأنني أفرغ من دمي، أنا أشعر بالخجل منك فقد وضعت نصب عيني أمراً كبيراً جداً عليّ. يجب أن أعمل في مكاني المناسب، مكان صغير جداً، هذا الذي أستحقه أنا.

أنينكوف: لا توجد أماكن صغيرة، السجن والمشنقة نهاية الجميع.

فوينوف: لكن ليس عليك أن تراها بالطريقة التي ترى بها الأشخاص الذين ستقتلهم. يمكنك تخيلها فحسب، ولحسن الحظ ليس لدي خيال. (يضحك بعصبية). لم أؤمن حقاً بالشرطة السرية. غريب الإرهابي، أليس كذلك؟ عند الركلة الأولى على صدري، سأؤمن بها. وليس قبل ذلك.

أنينكوف: وبمجرد دخولك السجن هناك، كما تعلم وترى. لا توجد طريقة للنسيان.

فوينوف: هناك، لا توجد قرارات يجب اتخاذها. نعم، هذا يجعل الأمر سهلاً، ألّا تضطر إلى اتخاذ أي قرارات أخرى! لا داعي للقول، دعنا نذهب، حان دورك، إنه ضروري، ستقرر بنفسك الثانية التي سترمي فيها. أنا متأكد الآن أني إذا اعتقلت فلن أحاول الهروب. فأنت تحتاج إلى الإبداع لتهرب، عليك أن تأخذ زمام المبادرة. إذا لم تحاول الهروب، يصبح الآخرون هم أصحاب المبادرة، وعليهم القيام بالعمل كله.

أنينكوف: إنهم يعملون أحياناً على شنقك.

فوينوف بيأس: أحياناً. لكن الموت سيكون أقلّ صعوبة بالنسبة إليّ من أن أحمل حياتي وحياة شخص آخر تحت ذراعي وأقرر متى أرمي بهذه الأرواح في النيران. لا يا بوريا، الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها تعويض نفسي هي قبول ما أنا عليه الآن. (أنينكوف هادئ). لكن لا يزال بإمكان الجبناء خدمة الثورة، طالما وجدوا مكانهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: إذن فنحن جميعاً جبناء. لكن ليس لدينا الفرصة لاختبار جبننا دائماً. افعل ما تحب.

فوينوف: أفضّل المغادرة الآن، لا أعتقد أنني أستطيع أن أنظر في وجه الجميع. تستطيع التحدث إليهم.

أنينكوف: سأتحدث معهم. (يتقدم نحو فوينوف).

فوينوف: أخبر يانيك أن هذا ليس خطأه، وأنني أحبّه كما أحبكم جميعاً. (هدوء)، (أنينكوف يحتضنه).

أنينكوف: وداعاً يا أخي، ستكون روسيا الأمّ سعيدة.

فوينوف: نعم، ستكون سعيدة. (ويتجه أنينكوف نحو الباب، يرحل).

أنينكوف: تعالوا. (الكل يدخل مع دورا).

ستيبان: ماذا حدث؟

أنينكوف: فوينوف لن يرمي القنبلة، إنه مرهق، لن يكون بوسعه فعل ذلك مؤكداً.

كالييف: هذا خطأي، أليس كذلك، يا بوريا؟

أنينكوف: قال إنه يحبّك.

كالييف: هل سيعود إلينا؟

أنينكوف: ربما، لكن في الوقت الحالي، سيغادر.

ستيبان: لماذا؟

أنينكوف: سيكون أكثر فائدة في الدعاية.

ستيبان: هل طلب أن يتم نقله؟ هل كان خائفًا؟

أنينكوف: لا، أنا قررت كل شيء.

ستيبان: قبل ساعة واحدة من الأمر قررت كل شيء، هل تستخفّ بنا؟

أنينكوف: قبل ساعة واحدة من الأمر، كان عليّ اتخاذ قرار بنفسي. تأخر الوقت جداً لمناقشة هذه المسألة، اخلدا إلى النوم فوراً... سآخذ مكان فوينوف.

ستيبان: الصواب أن هذا مكاني أنا.

كالييف إلى أنينكوف: أنت القائد، عملك هو البقاء هنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: أحياناً يكون عمل القائد جباناً، لكن يشترط أن يثبت نفسه عند الحاجة. يكفي هذا، لقد اتخذت القرار ستيبان، سوف تكون مكاني في الوقت الذي أذهب فيه. تعال، عليك أن تعرف التعليمات. خَرَج. (كالييف يجلس). (تتجه دورا نحوه لتمسك بيده، لكنها غيّرت رأيها بعد ذلك).

هذا ليس ذنبك.

كالييف: لقد آذيته، آذيته كثيراً. هل تعلم ماذا قال لي ذلك اليوم؟

الدورا: لم يتوقف عن القول إنه سعيد.

كالييف: نعم، لكنه أخبرني أنه لا توجد سعادة له خارج مجموعتنا. قال المنظمة وبعدها لا يوجد شيء. إنها الفروسية بالنسبة إليه. يا لها من تعاسة يا دورا!

دورا: سوف يعود ثانية.

كالييف: لا، أستطيع أن أتخيّل ما سأشعر به لو كنت مكانه، سيكون ميؤوساً مني.

دورا: أولست الآن؟

كالييف، للأسف: الآن؟ أنا معكم جميعاً وأنا سعيد، كما كان هو.

دورا ببطء: هذا يبعث على الارتياح.

كالييف: إنه لارتياح كبير جداً. ألا توافقيني؟

دورا: أعتقد هذا مثلك. لكن لم أنت تعيس؟ قبل يومين كان وجهك مشرقاً، بدا لو أنك ذاهب إلى احتفال، أما اليوم...

كالييف، بهياج شديد: اليوم، أعرف ما لم أكن أعرفه حينها. أنتِ محقة، إن الأمر ليس بتلك السهولة، اعتقدتُ أن القتل سيكون سهلاً، وأن الفكرة ستكون كافية، والشجاعة كذلك، لكنني لست بهذه العظمة. أنا أعلم الآن أنه لا يوجد خير في الكراهية، وفي هذا الشر كله، هذا الشر الذي في داخلي وفي داخل الآخرين. القتل والجبن والظلم. أوه، هذا ضروري، يجب أن أقتله...لكنني سأذهب في النهاية! إلى أبعد من الكراهية!

دورا: أبعد من الكراهية؟ لا يوجد شيء أبعد.

كالييف: هناك الحبّ.

دورا: الحبّ؟ لا، ذلك ليس ما تحتاجه.

كالييف: أوه، دورا، كيف يمكنك قول ذلك؟ أعرف ما تشعرين به؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: هناك كثير من الدماء، وكثير من العنف. الأشخاص الذين يحبّون العدالة حقاً ليس لديهم الحقّ في الحبّ. إنهم عالقون كما أنا، رؤوسهم مرفوعة، وعيونهم ثابتة في اتجاه واحد. ماذا يمكن أن يفعل الحبّ في هذه القلوب الفخورة؟ الحبّ يحني أعناق الناس برفق. يانيك، نحن، أعناقنا صلبة.

كالييف: لكننا نحبّ الناس.

دورا: نحن نحبّهم، هذا صحيح. نحن نحبهم حباً كبيراً من دون مصلحة، حبّاً غير سعيد. نحن نعيش بعيداً عنهم، مغلقين غرفنا على أنفسنا، ضائعين في أفكارنا. والناس هل يحبّوننا؟ هل يعرفون أننا نحبّهم؟ الناس هادئون. يا له من صمت، يا له من صمت.

كالييف: لكن هذا هو الحبّ، إعطاء كل شيء، والتضحية بكل شيء دون أمل في المقابل.

دورا: ربما. هذا هو الحبّ المطلق والفرح الخالص الذي يكون من طرف واحد، وهذا ما يحترق بداخلي. ومع ذلك، في بعض الأحيان، أسأل نفسي إذا كان الحبّ شيئاً آخر، وأنه يمكن أن يتوقف عن كونه مونولوجاً، في بعض الأحيان. أتخيله، فأرى الشمس تشرق، والأعناق تنحني برفق، والقلب يفلت من كبريائه، والأذرع تنفتح. آه، يانيك، إذا استطعنا أن ننسى، لمدة ساعة واحدة فقط، معاناة العالم البائسة، وننساق إلى ساعة صغيرة من الأنانية، هل يمكنك تخيل ذلك؟

كالييف: نعم، دورا، هذا يسمى الحنان.

دورا: أنت تكتشف كل شيء يا عزيزي، هذا يسمى الحنان. لكن هل تعرف حقاً عنه أكثر؟ هل تحبّ العدل مع الحنان؟ (كالييف صامت). هل تحبّ الناس بهذا النوع من الهجر والعذوبة، أو بدلاً من ذلك هل تحبّهم وهم ممتلؤون بشعلة الانتقام والتمرد؟ (لا يزال كالييف صامتاً)! أرأيت (تذهب إليه وبصوت رقيق): وأنا هل تحبني بحنان؟ (ينظر إليها).

كالييف، بعد وقفة: لم يحبّك أحد مثلما أحبّك.

دورا: أعرف، لكن ألن يكون من الأفضل أن تحبّني مثل بقية الأشخاص؟

كالييف: أنا لست أيّ شخص آخر، أحبّك بالشكل الذي أنا عليه.

دورا: هل تحبّني أكثر من العدالة، وأكثر من المنظمة؟

كالييف: أنا لا أفصل بينكم، أنت، والمنظمة، والعدالة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: نعم، لكن أجبني، أتوسل إليك، أجبني. هل تحبّني من طرف واحد، بحنان، وأنانية؟ هل تحبّني لو كنت ظالمة؟

كالييف: إذا كنتِ ظالمة وكنتُ أستطيع أن أحبّك، فلن تكوني أنت التي أحببتها.

أنت لا تجيب... فقط قل لي، هل ستحبّني لو لم أكن في المنظمة؟

كالييف: أين ستكونين إذن؟

دورا: أتذكر عندما كنت طالبة، كنت ضاحكة وجميلة، حينها قضيت ساعات في المشي وأنا أحلم. هل تحبني رقيقة القلب وخالية من الهموم؟

كالييف، متردد وبهدوء شديد: أنا أموت لأقول لك نعم.

دورا (صارخة): قل نعم يا عزيزي إن كنت تعتقد ذلك، وكان ما تشعر به حقيقياً. نعم، قلها وجهاً لوجه مع العدالة، وبمقابل البؤس والعبودية. أجل، أتوسل إليك، قلها، على الرغم من الآلام التي يعانيها الأطفال، وعلى الرغم من الأشخاص الذين يُشنقون، والأشخاص الذين يُجلدون حتى الموت.

كالييف: اسكتي يا دورا.

دورا: لا، يجب أن نترك قلوبنا تتحدث مرة واحدة على الأقل. لقد انتظرت أن تضعني، أنا، دورا، فوق هذا العالم المسموم بالظلم.

Telegram:@mbooks90

كالييف، بوحشية: اخرسي، قلبي لا يتحدث عن شيء سواك. لكن خلال دقائق قليلة، لا ينبغي أن أرتجف.

دورا (وهي تدرك فجأة أنها سرحت بفكرها): بضع دقائق؟ أوه، لقد نسيت... (تضحك كما لو كانت تبكي). لا، هذا جيد، لا تغضب، لم أكن متعقلة، إنه التعب. لم أستطع أن أقول ذلك أيضاً. أحبك الحبّ الثابت نفسه. الصيف، يا يانيك، هل تتذكر؟ إنه شتاء دائم، نحن لسنا جزءاً من هذا العالم، نحن العادلون. هناك نوع من الدفء ليس لنا. (وقفة) آهٍ! أشفق على العدل!

كالييف ينظر إليها بيأس: نعم، هذا هو موقفنا. الحبّ مستحيل. لكني سأقتل الدوق الأكبر، وبعد ذلك سأشعر ببعض السلام، لأنك تحبينني.

دورا: السلام! متى سنحصل عليه؟

كالييف بعنف: في اليوم التالي. (دخل أنينكوف وستيبان، دورا وكالييف يحييان بعضهما بعضاً بعنف).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: يانيك!

كالييف: دقيقة واحدة فقط. (يتنفس بعمق). أخيراً، أخيراً.

ستيبان، قادماً نحوه: وداعاً يا أخي، أنا معك.

كالييف: وداعاً ستيبان. (يستدير نحو دورا). وداعاً يا دورا. تذهب إليه. (إنهما قريبان جداً من بعضهما، لكنهما لا يتلامسان).

دورا: لأمشِ، وداعاً. أراك لاحقاً، أراك لاحقاً عزيزي. سنتقابل ثانية. (ينظر إليها). (هدوء).

كالييف: أراك لاحقاً.

...ستكون روسيا جميلة.

دورا باكية: روسيا ستكون جميلة. (كالييف يغادر مع أنينكوف، ستيبان يقف عند النافذة، دورا لا تتحرك، تواصل التحديق خلفهم عند الباب).

ستيبان: كم هو واثق من نفسه عند خروجه. كنت مخطئاً، كما تعلمين، لم أثق في يانيك. أنا لم أحبّ حماسه فحسب. الصليب، هل رأيته؟ هل هو مؤمن؟

دورا: مؤمن لكنه لا يمارس الشعائر الدينية.

ستيبان: بالرغم من ذلك فهو يتمتع بروح دينية، هذا ما يفصل بيننا نحن الاثنان. أنا أعلم أنني أكثر قسوة منه. بالنسبة إلينا نحن الذين لا يؤمنون بالربّ، فإن العدالة الكاملة ضرورية أو سنشعر باليأس.

دورا: بالنسبة إليه، العدالة نفسها يائسة.

ستيبان: نعم، روحه ضعيفة، لكن يديه قويتان، وسوف تقومان بما لم تقم به روحه. سيقتل الدوق الأكبر، هذا مؤكد. وهو أمر جيد، جيد جداً. وهذا ما علينا أن نفعله. أليس لديك شيء تقولينه؟ (يفحصها). هل تحبينه؟

دورا: ألديك وقت للحبّ، بالكاد لدينا الوقت الكافي لتحقيق العدالة.

ستيبان: هذا صحيح. هناك الكثير مما يجب القيام به؛ علينا تقسيم العالم من الأعلى إلى الأسفل... ثم... (تنظر من النافذة) لم أعد أراهم، أين هم؟

دورا: وبعد ذلك...

ستيبان: إذن سنحبّ بعضنا بعضاً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: إذا كنّا هناك.

ستيبان: سيحبّ الآخرون بعضهم بعضاً، كالعادة.

دورا: ستيبان قُل كلمة الكراهية.

ماذا يا (ستيبان)؟

دورا: قُل هذه الكلمة، الكراهية.

ستيبان: الكراهية.

دورا: هذا جيد، لكن يانيك يقولها بسوء أكثر.

ستيبان، بعد وقفة، يسير نحوها: أوه، فهمت. سأذهب بنفسي. هل أنت متأكدة حقاً من أنك على حق؟ (صمت متوتر). أنتم جميعاً على استعداد لبيع ما نفعله باسم الحبّ البائس. لكني لا أحبّ أو أكره أي شيء، أوه، أنا أكره رفاقي من أبناء جلدتي! ماذا عليّ أن أفعل بحبّهم؟ عرفت الكره في السجن منذ ثلاث سنوات، وقد حملته معي خلال تلك السنوات الثلاث. هل أردت أن أنتظر وأحمل القنبلة مثل الصليب؟ لا! لقد تجاوزت الحد. أنا أعرف أشياء كثيرة...نظرة... (يخلع قميصه. اقتربت دورا منه لكنها جفلت أمام علامات الجلد). هذه هي الندوب! ندوب حبّهم! إذاً هل تأتمنيني الآن؟ (تذهب إليه وتعانقه بفظاظة).

دورا: مَن لا يثق بهذا الألم؟ مَن؟ أحبّك أيضاً.

ستيبان، (نظر إليها بهدوء): عفواً يا دورا. (وقفة، يستدير). ربما يكون التعب هو السبب. فلقد عشت سنوات من القتال، ومن العذاب والخيانة والسجن... وحاولت كثيراً التخلص منها. (يظهر علاماته). أين أجد الطاقة لأحبّ؟ بالكاد لدي ما يكفي لأكره. هذا أفضل من عدم الشعور بأيّ شيء.

دورا: نعم إنه أفضل. (ينظر إليها. أصوات، الساعة السابعة).

ستيبان، (ابتعد على مضض): إن الدوق الأكبر على وشك المرور. (تتجه دورا نحو النافذة، تضغط على زجاجها. صمت طويل. ثم مسافة، صوت العربة، تقترب، وتمر) وهو وحيد. (تتلاشى العربة. انفجار رهيب. دورا تمسك رأسها بيديها. صمت طويل). لم يرمِ بوريا قنبلته! نجح يانيك! تم الأمر! يا ناس! نعم!

دورا تبكي وترمي نفسها عليه: لقد قتلناه! لقد قتلناه.

ستيبان بصوت عالٍ: من الذي قتلناه؟ يانيك؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: الدوق الأكبر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

زنزانة في قسم بوجاتشيف في سجن بوتركي. الوقت صباحاً عندما يرتفع الستار، كالييف في زنزانته ينظر إلى الباب. يدخل حارس، وسجين يحمل دلواً.

الحارس: قم بالتنظيف، بسرعة.(يقف جانب النافذة. يبدأ فوكا التنظيف دون النظر إلى كالييف). (هدوء).

كالييف: ما اسمك يا أخي؟

فوكا: فوكا.

كالييف: أنت سجين؟

فوكا: بالتأكيد يبدو الأمر كذلك.

كالييف: ماذا فعلت؟

فوكا: جريمة قتل.

كالييف: هل كنت جائعاً؟

الحارس: لا ترفع صوتك.

كالييف: ماذا؟

الحارس: لا ترفع صوتك، تركتك تتحدث بالرغم من الأوامر الناهية. لا ترفع صوتك، تكلم مثل العجوز.

كالييف: هل كنت جائعاً؟

فوكا: لا، كنت عطشان.

كالييف: وبعد ذلك؟

فوكا: كان هناك فأس، لقد حطمت كل شيء. قتلت ثلاثة أشخاص. (ينظر إليه كالييف). أوه، إذن الآن أنا لست أخوك بعد الآن، أيها النبيل؟ أتعطيني الكتف البارد؟

كالييف: لا، لقد قتلت شخصاً ما.

فوكا: كم العدد؟

كالييف: سأخبرك إذا شئت يا أخي. لكن أجبني، هل أنت نادم على ما حدث، أليس كذلك؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فوكا: بالتأكيد. عشرون سنة، هذا كثير. هل سبق وندمت؟

كالييف: عشرون سنة، سأكون في الثالثة والعشرين من عمري، وسأغادر بشعر رمادي.

فوكا: أوه، قد يكون الحال أفضل معك. فالقضاة في صعود ونزول. يعتمد ذلك على ما إذا كانوا متزوجين وبمن. وأنت، هل أنت نبيل؟ إن كنت كذلك فلن تحصل على العقوبة ذاتها التي نحصل عليها نحن الفقراء. يمكنك أن تسترخي.

كالييف: لا أصدق ذلك. لا أريدها بهذه الطريقة. لا أستطيع الاستمرار في هذا العار لمدة عشرين عاماً.

فوكا: عار؟ ما العار؟ هذا تفكير خيالي من نبيل. كم من الأشخاص قتلتَ؟

كالييف: واحد فقط.

ما الذي تعنيه؟ اجلس وارتح.

كالييف: لقد قتلت الدوق الأكبر سيرج.

فوكا: الدوق الأكبر؟ هاه! الطريق الذي تسلكونه يا رفاق، انظر إلى هؤلاء النبلاء! هل أنت جاد، أخبرنيَ؟

كالييف: نعم أنا جاد. وقتله أمر ضروري.

فوكا: لماذا؟ أكنت تعيش في البلاط، وانتهى الأمر بك مع امرأة، أليس كذلك؟ وسيم مثلك...

كالييف: أنا اشتراكي.

الحرس: لا ترفع صوتك.

كالييف بصوت أعلى: أنا اشتراكي ثوري.

فوكا: لا بد أن هناك قصة ما، لماذا كان عليك أن تكون هنا؟ ما كان عليك سوى البقاء في المكان الذي كنت فيه، وسيصبح كل شيء على ما يرام. فالعالم خُلق لكم أيها النبلاء.

كالييف: لا، إنه خلق لك. هناك الكثير من البؤس والجريمة. عندما يقلّ البؤس، تقلّ الجرائم. لو كان العالم حراً، فلن تكون هنا.

فوكا: نعم ولا. في النهاية، سواء أكنت حراً أم لا، فليس من الجيد أبداً شرب الكثير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالييف: لا، هذا ليس جيداً أبداً. لكن الناس يشربون فقط لأنهم مهانون. سيأتي وقت لن يكون الشرب فيه ضرورياً، ولن يخجل منه أحد، لا النبيل ولا الفقير. سنكون جميعاً إخوة، والعدل سيجعل قلوبنا صافية. أتفهم ما أقصده؟

فوكا: نعم، هذه هي الجنة.

الحرس: لا تتكلما بصوت عال.

كالييف: لا داعي لقول ذلك يا أخي، العدل هو عملنا! (صمت). هل تعرف أسطورة القديس ديمتري؟

فوكا: لا.

كالييف: أراد القديس ديمتري الالتقاء بالربّ في السهوب، وكان يسارع للوصول إلى هناك، لكنه قابل فلاحاً كانت عربته عالقة في الوحل، لذلك ساعده القديس ديمتري. كان الطين كثيفاً حقاً، أمضوا ما يقرب من ساعة للخروج من الوحل. عندما خرجوا، ركض القديس ديمتري إلى لقاء الربّ، لكن الربّ لم يعد موجوداً.

فوكا: إذاً؟

كالييف: إذاً، هناك دائماً أشخاص يصلون متأخرين إلى الاجتماعات بسبب وجود عدد كبير جداً من العربات العالقة في الوحل، والعديد من الإخوة بحاجة إلى المساعدة. (يتراجع فوكا)، ماذا؟

الحارس: لا تتكلما بصوت عال. وأنت أيها الرجل العجوز، أسرع.

فوكا: لا أؤمن بهذا. هذا الوضعُ ليس طبيعيّاً، لا يفهم الناس فكرة الذهاب إلى السجن من أجل قصص كهذه عن القديسين والعربات. وهناك شيء آخر. (يضحك الحارس).

كالييف ينظر إليه: ماذا؟

فوكا: ماذا يفعلون لمن يقتلون الدوقات؟

كالييف: يشنقونهم.

فوكا: آه! (يتراجع، والحارس يضحك أكثر).

كالييف: انتظر. ماذا فعلت؟

فوكا: ماذا تعني؟ على الرغم من أنك نبيل، إلا أنني لا أريدك أن تفهم الفكرة بشكل خاطئ. يمكننا أن نمضي وقتاً معاً كهذا، لكن إذا كنت ستشنق، فهذا ليس مناسباً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالييف: لمَ لا؟

الحارس، (يضحك): هيا أيها الرجل العجوز، أخبره...

فوكا: لأنه لا ينبغي أن تتحدث معي كأخ، أنا جلاد المدانين.

كالييف: لكن ألست سجيناً أيضاً؟

فوكا: بالضبط. قالوا لي، افعل هذا مع كل شخص محكوم عليه بالشنق. وسوف يختصرون سنة من عقوبتي. إنها اتفاقية جيدة.

كالييف: يعفون عن جرائمك بجعلك ترتكب المزيد؟

فوكا: أوه، إنها ليست جريمة إذا طُلب منك القيام بذلك، والأمر سيان. إن كنت تريد رأيي، فهم ليسوا مسيحيين صالحين.

كالييف: وكم مرة فعلت هذا؟

فوكا: مرتين. (كالييف يتراجع. يقترب الآخرون من الباب. يدفع الحارس فوكا).

كالييف: إذن أنت جلاد؟

فوكا، عند الباب: حسناً، يا سيد صاحب المقام، وما يعنيك؟ (يرحل، تُسمع الخطوات والأوامر في الخارج. يدخل سكوراتوف مع الحارس، وهو متأنق للغاية).

سكوراتوف: اتركونا وحدنا. مرحباً، ألا تعرف من أنا؟ من أين أتى بك الزمن! (يضحك).

أنت مشهور حقاً (ينظر إليه) «لا شيء ليقال»، فهمت. انفرادي، أليس كذلك؟ إنه صعب، ثمانية أيام في الحبس الانفرادي. اليوم، أخرجناك من الحبس الانفرادي وسيكون لديك بعض الزوار. وأنا هنا من أجل ذلك، كما ترى. لقد أرسلت لك فوكا. رائع، أليس كذلك؟ توقعت أنك ستهتم بذلك، من الجيد رؤية بعض الوجوه البشرية بعد ثمانية أيام، أليس كذلك؟

Telegram:@mbooks90

كالييف: هذا يعتمد على الوجه.

سكوراتوف: ردّ جيد. أنت تعرف ما تريد، صح؟ (وقفة) لذا إن فهمتك بشكل صحيح، فإن وجهي لا يرضيك؟

كالييف: نعم.

سكوراتوف: أشعر بخيبة أمل. إنه مجرد سوء تقدير، الإضاءة سيئة في بداية الطابق السفلي، لا أحد يبدو لطيفاً. وأيضاً، أنت لا تعرفني. في بعض الأحيان يجفل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرء من الوجه في البداية. لكن عندما يعرف القلب...

كالييف: كفى، من تكون؟

سكوراتوف: سكوراتوف، مدير قسم الشرطة.

كالييف: خادم.

سكوراتوف: في خدمتكم. لكن لو كنت في مكانك، لأظهرت الكثير من الكبرياء. قد تحصل على ذلك، تبدأ بالرغبة في العدالة وينتهي بك الأمر إلى تنظيم الشرطة. أما بالنسبة إلى الباقي فالحقيقة لا تسيء إلي. سأكون صريحاً معك، أنت تهمني وأريد أن أساعدك لتحصل على العفو.

كالييف: أيّ عفو؟

سكوراتوف: ماذا تقصد، أي عفو؟ ولهذا يا بني ينبغي أن تكون فخوراً.

كالييف: من طلب منك ذلك؟

سكوراتوف: لا تسأل عن العفو، يُعطى لك. ألم تسامح أحداً من قبل؟ (وقفة). فكّر في الأمر.

كالييف: أنا أرفض عفوكم الآن وإلى الأبد.

سكوراتوف: على الأقل استمع. أنا لستُ عدوك، على الرغم من الظاهر. أعترف بذلك، أنت محقّ في طريقة تفكيرك، عدا الاغتيال...

كالييف: أمنعك من استخدام هذه الكلمة.

سكوراتوف ينظر إليه: آه! أعصابك حساسة، أليس كذلك؟ (وقفة). بكل تقدير، أريد مساعدتك.

كالييف: تساعدني؟ أنا مستعد لدفع الثمن. لكنني لن أتحمل هذا الودّ الذي تحاول الحصول عليه معي. اغرب عني.

سكوراتوف: أنت متهم.

كالييف: تصحيح.

سكوراتوف: معذرة؟

كالييف: تصحيح. أنا أسير حرب، ولست مجرماً متهماً.

سكوراتوف: إن شئت. ومع ذلك، كان هناك بعض الضرر، أليس كذلك؟ اترك الدوق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأكبر والسياسة جانباً في الوقت الحالي. على أقل تقدير، قد مات رجل. ويا لها من ميتة!

كالييف: رميتُ قنبلة على طغيانكم وليس على رجل.

سكوراتوف: بلا شك، لكنها أصابت الرجل. وجعلته ميتاً، رأيت، أليس كذلك، فعندما وجدوا الجثة، كان الرأس مفقوداً؟ اختفى ذلك الرأس! وجدوا بقية الأشلاء، باستثناء ذراع وجزء من ساق أيضاً.

كالييف: لقد نفذت حكماً.

سكوراتوف: ربما، ربما. نحن لا ننتقدك على ذلك. ما هو الحكم؟ إنها كلمة يمكنك التحدث عنها طوال الليل. نحن نتهمك... لا، أنت لا تحبّ هذه الكلمة... دعنا نقول إنك قمت ببعض أعمال الهواة، وهي أعمال غير منظمة، ونتائجها مقززة. العالم كله رأى ما فعلت. اسأل الدوقة الكبرى، كانت هناك دماء، وكما رأيت، الكثير من الدماء.

كالييف: اخرس.

سكوراتوف: حسناً. أعني فقط أنك إذا أصريت على الحديث عن الأحكام، قائلاً إن الطرف الآخر وحده هو الذي أصدر الحكم وقام بتنفيذ الإعدام، فأنت لست بحاجة إلى العفو. لكن لنفترض بدلاً من ذلك، أننا عدنا إلى الأدلة، وافترض أنك أنت من فجر رأس الدوق الأكبر، ثم تغيّر كل شيء، أليس كذلك؟ ستحتاج إلى العفو بعد ذلك. أنا أريد مساعدتك فحسب، من باب التعاطف معك، صدقني. (يضحك) وأيّاً كان ما تريد، فأنا مهتم بالناس وليس بالأفكار.

كالييف: مهتم بشخصي! أنا أهم منك ومن أسيادك. يمكنك إبقائي هنا، لكن لا يمكنك الحكم علي. أنا أعرف إلى أين تحاول الوصول، أنت تبحث عن نقطة ضعف وتحاول تحطيمي من خلال الخزي والدموع والتوبة. لن تحصل على أي شيء. ما أنا عليه لا يهمك. ما يهمك هو كراهيتنا وكراهية إخوتي. هذا في مصلحتك.

سكوراتوف: الكره؟ ولكن هذه مجرد فكرة، وليس القتل إلا مجرد فكرة، والقتل له عواقبه بالتأكيد. أودّ أن أتكلم عن التوبة والعقاب. لذلك، نحن في المنتصف تماماً. من أجلك أصبحت شرطياً. أنا في منتصف الأشياء. لكنك لا تحبني أن أخبرك بهذه الأشياء. (استراحة، سكوراتوف يتقدم ببطء نحو كالييف). كل ما أقصده هو أنه لا ينبغي أن تتظاهر بأنك نسيت رأس الدوق الأكبر. إن فكرت في ذلك، فلن يجعلك ذلك تشعر بالرضا عن نفسك. بل ستشعر بالخجل، بدلاً من أن تفخر بما قمت به. ومن اللحظة التي تشعر فيها بالخجل، سترغب في العيش والتعويض. والأهم هو أنك قد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قررت أنك تريد العيش.

كالييف: وماذا إن قررت ذلك؟

سكوراتوف: العفو لك ولرفاقك.

كالييف: هل ألقيتم القبض عليهم؟

سكوراتوف: ليس بعد، لكن إذا قررت أن تعيش، فسوف نعتقلهم.

كالييف: هل سمعتك بشكل صحيح؟

سكوراتوف: بالتأكيد. لا تغضب ثانية. فكّر في الأمر. من وجهة النظر المثالية، لا يمكنك تسليمهم. ومن وجهة النظر من ناحية أخرى، أنت تقدم لهم معروفاً، وتبقيهم بعيداً عن المتاعب الجديدة وفي الوقت نفسه تنجيهم من المشنقة، وقبل كل شيء، تنال راحة البال. (كالييف صامت). إذن؟

كالييف: إخواني سوف يجيبونك بعد قليل.

سكوراتوف: جريمة أخرى! حقاً، إنها مهنة. حسناً، لقد انتهى عملي. قلبي محطم، لكني أرى أنك تتمسك بأفكارك. لا يمكنني فصلك عنهم.

كالييف: لا يمكنك أن تفصلني عن إخوتي.

سكوراتوف: وداعاً. (يتصرف كما لو كان يغادر، لكنه يعود بعد ذلك). لماذا، في هذه الحالة، أبقيت على الدوقة الكبرى وابن أخت الدوق وابنة أخيه؟

كالييف: من قال لك ذلك؟

سكوراتوف: مُخبرك يعمل معنا أيضاً. أخبرني... لماذا أبقيتَ عليهم؟

كالييف: هذا ليس من شأنك.

سكوراتوف: أتعتقد ذلك؟ سأخبرك لماذا حدث ذلك. لقد اكتشفتَ أن الفكرة يمكن لها أن تؤدي إلى حتف الدوق الأكبر، لكنها لا تستحقّ قتل الأطفال من أجلها. لذا يبقى السؤال المطروح: إذا كانت الفكرة لا تستحقّ قتل الأطفال، فهل تستحقّ حقاً موت الدوق الأكبر؟ (يقوم كالييف بإيماءة). أوه، لا تجبني إذا كنت لا تريد ذلك! لكن عليك أن تجيب الدوقة الكبرى.

كالييف: الدوقة الكبرى؟

سكوراتوف: نعم، الدوقة الكبرى تريد رؤيتك. ولقد جئتُ في المقام الأول للتأكد من أن هذه المحادثة ستكون ممكنة. إنها تريد تغيير رأيك. فالدوقة الكبرى مسيحية،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والروح تخصصها. (يَضحك. يَضحك).

كالييف: لا أريد أن أراها.

سكوراتوف: أنا آسف، لكنها تصر. وبعد كل شيء، أنت مدين لها ببعض التفسيرات. يقولون أيضاً إنه منذ وفاة زوجها لم تكن تشعر بأنها على صواب تماماً. لم نرغب في مناقضتها. هي عند الباب، إذا غيّرت رأيك. لا تنسى عرضي، أمهلك أسبوع تقريباً، ثم سأعود. (استراحة). ها هي هناك. إنها تنتظرك. وبعد الشرطة سيأتي ممثل الدين! تخيّل القيامة من دون أحكام. يا لها من عزلة! (يغادر، يستمع إلى الأصوات والأوامر. دخلت الدوقة الكبرى التي بقيت ساكنة وهادئة. لا يزال الباب مفتوحاً).

كالييف: ماذا تريدين؟

الدوقة الكبرى تكشف وجهها: انظر إلي. (كالييف صامت). تموت الكثير من الأمور مع موت الرجل.

كالييف: أعرف.

الدوقة الكبرى، ومسحة من الحزن في صوتها: القتلة لا يعرفون ذلك، إذا كانوا يعرفون فكيف يرتكبون جريمة قتل؟ (هدوء).

كالييف: لقد رأيتني، أريد الانفراد بنفسي.

الدوقة الكبرى: لا، ما زلتُ بحاجة للنظر إليك. (يتراجع، تجلس كما لو كانت منهكة). لا أستطيع البقاء بمفردي بعد الآن. قبلُ عندما كنت أعاني، كان الدوق يشعر بألمي، فيكون الأمر مريحاً ورائعاً. الآن... لا، لا يمكنني البقاء وحدي بعد الآن، والبقاء هادئة... مَن الذي يمكنني أن أتكلّم معه؟ الآخرون لا يفهمونني، يتظاهرون بأنهم حزينون، لمدة ساعة أو ساعتين، لكن بعد ذلك يمكنهم تناول الطعام والخلود للنوم. النوم بخاصة...اعتقدت أنك مثلي، لا يمكنك النوم، أنا متأكدة. فمن يكون أفضل من القاتل لنتحدث معه عن الجريمة؟

كالييف: أية جريمة؟ كل ما أتذكّره أني قمت بعمل من أعمال العدالة.

الدوقة الكبرى: الصوت نفسه! أنت تتحدث مثله تماماً. يتخذ الرجال جميعهم النبرة نفسها عندما يتحدثون عن العدالة. كان يقول: هذا عادل! وعلى الجميع التزام الهدوء. كان يكذب على نفسه، أحياناً تكذب على نفسك.

كالييف: لقد كان تجسيداً للظلم المطلق، الذي عانى منه الشعب الروسي لقرون. وقد حصل على امتيازات للقيام بذلك. إن كذبتُ على نفسي، فإن السجن والموت هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثمن الذي أدفعه.

الدوقة الكبرى: نعم، أنت تعاني. لكنك قتلته.

كالييف: لقد مات فجأة، وهذا النوع من الموت لا شيء.

الدوقة الكبرى: لا شيء؟ (بصوت أكثر نعومة): صحيح لقد وجدوك بعد ذلك مباشرة. يبدو أنك تلقيت الخطب وسط حشد من رجال الشرطة. فهمت. يجب أن يكون قد ساعدك. وصلتُ إلى هناك بعد بضع ثوان، رآني الكلّ. وأنا أضع أكبر قدر ممكن من زوجي على نقالة. لقد كان هناك الكثير من الدماء (وقفة). ارتديت فستان أبيض...

كالييف: اصمتي.

الدوقة الكبرى: لماذا؟ أنا أقول لك الحقيقة، هل تعلم ماذا كان يفعل قبل ساعتين من وفاته؟ استراح على كرسي، وقدماه على كرسي آخر، كان نائماً، وأنت كنت تنتظر قتله في المساء الذي لا يرحم... (تبكي).ساعدني الآن. (يتراجع ويتيبس في مكانه). أنت شاب، لا يمكنك أن تكون سيئاً تماماً.

كالييف: لم يكن لدي وقت لأكون شاباً.

الدوقة الكبرى: لماذا أنت قاسٍ هكذا؟ ألم تحظى بلحظة شفقة على ذاتك؟

كالييف: لا.

الدوقة الكبرى: يجب عليك ذلك، أنا لم أعد أشعر بالشفقة على ذاتي. (وقفة). أشعر بألم شديد، كان ينبغي أن تقتلني معه بدلاً من أن تبقيني.

كالييف: لم تكوني أنت الذي أبقيه؛ بل أبقيت على الطفلين اللذين كانا معك.

الدوقة الكبرى: أعرف، ولم يرُق لي ذلك. (وقفة). إنهما ابنة أخ الدوق الأكبر وابن أخته، أليسا مذنبين مثل عمّهما؟

كالييف: لا.

الدوقة الكبرى: هل تعرفهما؟ ابنة أخي لها قلب حاقد، ترفض أن تعطي صدقاتها للفقراء، إنها لا تريدهم أن يلمسوها، هل هي عادلة؟ زوجي على الأقل أحبّ الفلاحين، وشرب معهم. وأنتَ قمتَ بقتله، بالتأكيد أنت ظالم أيضاً. الدنيا حقيرة.

كالييف: إنها ظالمة، أنت تحاولين ان أتخلى عن معتقداتي وأشعر باليأس. لن تصلي إلى أي مكان، ارحلي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدوقة الكبرى: ألن تصلّي معي، وتتوب؟... لن نكون وحدنا بعد الآن.

كالييف: دعيني أجهز نفسي للموت. إذا لم أما، فهذا يعني أني قاتل.

الدوقة الكبرى: مُت؟ تريد الموت؟ (تذهب إلى كالييف في هياج عظيم). يجب أن تعيش وتتقبل أنك قاتل. بعد كل شيء، لقد قتلته. الربّ وحده يغفر لك.

كالييف: أيّ إله؟ إلهي أم إلهكم؟

الدوقة الكبرى: الكنيسة.

كالييف: ليس للكنيسة ما تفعله هنا.

الدوقة الكبرى: تخدم السيد وتعرف السجون أيضاً.

كالييف: لقد تغيّر الزمن، وقد اختارت الكنيسة ميراث سيدها.

الدوقة الكبرى: اختارت؟ ما الذي تعنيه؟

كالييف: تحتفظ بالعفو لنفسها، وتترك لنا أعمال الصدقة.

الدوقة الكبرى: من نحن؟

كالييف، صارخاً: كل الأشخاص الذين تشنقهم.

الدوقة الكبرى بلطف: أنا لستُ عدوتك.

كالييف (يائس): نعم أنتِ، مثل كل سلالتك وأسرتك. هناك شيء أقلّ من كون الشخص مجرماً، وهو إجبار الناس على ارتكاب جريمة ليس من المفترض ارتكابها. لو كان هذا يسعدك أؤكد لك أنني لم أرد القتل.

الدوقة الكبرى: لا تتحدث معي كعدو. انظر. (تذهب لإغلاق الباب). سأترك الأمر لك. (تبكي). الدم يفرّق بيننا. لكن يمكنك أن تنضمّ إليّ وتتوجه إلى الربّ ولو كنت بهذا الشر. على الأقل صلّ معي.

كالييف: يجب أن أرفض. (يذهب إليها). لا أشعر بشيء سوى التعاطف تجاهك، وقد لمست قلبي للتو. الآن يمكنك أن تفهميني، لأنني لا أخفي أي شيء. أنا لا أعول على أي لقاءات مع الربّ. لكن عندما أموت، سأكون مع الأشخاص الذين أحبّهم، إخواني الذين يفكرون فيّ الآن. الصلاة ستكون خيانة لهم.

الدوقة الكبرى: ماذا تقصد؟

كالييف (في ابتهاج): لا شيء إلا أنني سأكون سعيداً. لدي معركة طويلة لأناضل،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسأواصل ذلك. لكن عندما يُعلن الحكم ويقترب التنفيذ، فعندئذ، عند أسفل المقصلة، سأبتعد عنكم وعن هذا العالم البغيض، وسأسمح لنفسي بالجري نحو الحبّ الذي يملؤني. أتفهميني؟

الدوقة الكبرى: لا حبّ بعيداً عن الربّ.

كالييف: نعم، هناك. حبّ للخلق.

الدوقة الكبرى: الخلق دنيء. ماذا يمكنك أن تفعل غير تدميرهم أو مسامحتهم؟

كالييف: أموت معهم.

الدوقة الكبرى: يموت الجميع بمفردهم. لقد مات وحيداً.

كالييف (يائساً): نموت معهم! أولئك الذين يحبّون اليوم يجب أن يموتوا معاً إذا كانوا يريدون لمّ شملهم. يفصلهم الظلم، والعار، والحزن، والشر الذي يلحق بالآخرين، والجريمة، وهي كلها تمزّق الناس. الحياة عذاب عندما يعيش الإنسان بمفرده.

الدوقة الكبرى: الربّ يلمّ الشمل.

كالييف: ليس على هذه الأرض، ولقاءاتي كلها على هذه الأرض.

الدوقة الكبرى: هذه كلقاءات الكلاب، إذ تكون أنوفها ملاصقة للأرض، تشممها، بخيبة أمل دائماً.

كالييف، يبتعد نحو النافذة: لكن ألا يمكنك أن تتخيلي أن كائنين قد يتنازلان عن كل فرح، ويحبّان بعضهما بعضاً في حزن، دون أن يكونا قادرين على عقد لقاءات بينهما غير تلك اللقاءات الحزينة؟ (ينظر إليها). ألا يمكنك أن تتخيلي أن الحبل نفسه سيوحد هذين الاثنين؟

الدوقة الكبرى: أي نوع من الحبّ الرهيب هذا؟

كالييف: أنت وجنسكِ لا تدعوننا نملك أيّ نوع آخر.

الدوقة الكبرى: لقد أحببت أيضاً الرجل الذي قتلته.

كالييف: أفهم هذا. لذلك أغفر لك الشرّ الذي فعلته بي أنت ومن معك. (وقفة) والآن دعيني وشأني. (هدوء).

الدوقة الكبرى: سأرحل. لكني جئت إلى هنا لأعيدك إلى الله، وأنا أعلم ذلك الآن. تريد أن تحكم على نفسك، وتنقذ نفسك وحدك. يمكنك فعل ذلك رغم كل شيء؟ إن عشتُ سأطلب من الربّ أن يعفو عنك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كالييف: أتوسل إليك، لا تفعلي ذلك. دعيني أموت، أو سأكرهك كراهية مقيتة.

الدوقة الكبرى عند الباب، سأطلب العفو لك من الناس ومن الله.

كالييف: لا، لا، أنا أمنعك. (ركض نحو الباب، فوجد سكوراتوف فجأة. كالييف جفل وأغمض عينيه). (هدوء). (ينظر إلى سكوراتوف مرة أخرى). كنت بحاجة إليك.

سكوراتوف: أنا سعيد لسماع ذلك، لماذا؟

كالييف: كنت بحاجة إلى احتقار شخص ما مرة أخرى.

سكوراتوف: هذا سيئ جداً. جئت أتلقى ردّك.

كالييف: حصلت عليه بالفعل.

سكوراتوف، غيّر لهجته: لا، ليس بعد. اسمع، لقد رتبت اجتماعك مع الدوقة الكبرى حتى أتمكّن من نشره في الجريدة غداً. سيكون النصّ دقيقاً، باستثناء نقطة واحدة، سيقول إنك تبت، وسيعتقد رفاقك أنك خنتهم.

كالييف بهدوء: لن يصدقوا ذلك.

سكوراتوف: لن أوقف المقال ما لم تعترف. لديك وقت ما بين عشية ليلة وضحاها لتقرر. (يذهب نحو الباب).

كالييف، بصوت أعلى: لن يصدقوا.

سكوراتوف: لماذا؟ ألم يخطئوا قط؟

كالييف: أنت لا تعرف حبّهم.

سكوراتوف: لا، لكنني أعلم أنه لا يمكنك الإيمان بالأخوة طوال الوقت من دون لحظة ضعف صغيرة. أنا أنتظر هذا الضعف. (يغلق الباب وهو لا يزال في الزنزانة). لا تستعجل أنا صبور (ينظران إلى بعضهما وجهاً لوجه).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

بعد أسبوع، مساء. شقة أخرى من الطراز نفسه. (هدوء). ودورا تسير جيئة وذهاباً.

أنينكوف: استريحي قليلاً يا دورا.

دورا: أشعر بالبرد.

أنينكوف: تعالي واجلسي هنا، وتغطّي.

دورا (مستمرة في المشي): هذه الليلة طويلة جداً. أشعر ببرد شديد، بوريا. (طرقة، ثم طرقتان. أنينكوف يذهب لفتح الباب. دخل ستيبان وفوينوف، الذي يذهب إلى دورا ويحتضنها، وهي تتمسك به) الكسيس!

ستيبان: قال أورلوف إن الأمر مناسب هذه الليلة. وكلاء الضباط الذين لا يعملون جميعهم موجودون في الاجتماع. من الممكن أن يكونَ هنا.

أنينكوف: أين ستقابله؟

ستيبان: سيقابلنا، أنا وفوينوف، في ذلك المطعم على طريق سوفيسكايا.

دورا التي جلست مرهقة: إنها الليلة، بوريا.

أنينكوف: لم يضع شيء. القرار يعتمد على القيصر.

ستيبان: القرار يعتمد على القيصر، إذا طلب يانيك العفو.

دورا: لم يطلبه.

ستيبان: فلماذا رأى الدوقة الكبرى إن لم يكن سيطلب العفو؟ الأخبار التي تطبع وتنشر في كل مكان تقول إنه تاب. كيف سنتمكن من معرفة الحقيقة؟

دورا: نعرف ممّا قاله عندما كان في المحكمة، وممّا كتبه لنا. ألم يقل إنه يأسف لامتلاكه حياة واحدة فقط، حياة يمكنه رميها متحدياً هذا الاستبداد؟ هل يستوجب العفو عن الرجل الذي قال إنه تائب؟ لا، لقد أراد ذلك، يريد أن يموت، الأشياء التي فعلها لا تنكر.

ستيبان: لقد كان مخطئاً في التحدث إلى الدوقة الكبرى.

دورا: هو الحكَم الوحيد في ذلك.

ستيبان: وفقاً لقواعدنا، لم يكن عليه أن يسمح لها بزيارته.

دورا: قواعدنا تتعلق بالقتل، وهذا كل شيء. الآن هو حرّ، أخيراً أصبح حراً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: ليس بعد.

دورا: إنه حرّ، ومن حقّه أن يفعل ما يشاء قبل وفاته، لأنه على وشك الموت. ليكن سعيداً!

أنينكوف: دورا!

دورا: لكن، إذا صدر عفو عنه، فيا له من انتصارا! سيكون هذا دليلاً، على أن الدوقة الكبرى كانت تقول الحقيقة، وأنه تاب وخاننا. أليس كذلك. وعلى العكس من ذلك، إنْ مات، ستصدقونه وستتمكنون من حبّه مرة أخرى. (تنظر إليهم). حبّكم يكلف الكثير.

فوينوف يقترب منها: لا يا دورا، لم نشك فيه أبداً.

دورا تسير جيئة وذهاباً: نعم...عذراً، لا يهم، بعد كل شيء! بالطبع نجح. سنعرف هذه الليلة. آه! مسكين أليكسيس، لماذا أتيت إلى هنا؟

فوينوف: لأحلّ محله. لقد بكيت، وكم كنت فخوراً جداً عندما قرأت خطاب محاكمته. عندما قرأت قوله: سيكون موتي أكبر احتجاج ضدّ هذا العالم، احتجاج من دموع ودم... بدأت أرتجف كورقة شجرة، دافئة، مجفّفة يا دورا، عالم من الدموع والدم.. قال هذا صحيح.

فوينوف: قال ذلك... يا دورا، يا لها من شجاعة! وفي النهاية، صرخت: لو وصلت إلى قمة مقاومة الإنسان للعنف، فربما يتوّج الموت أعمالي بإثبات صفاء إيماني، لقد قررت المجيء.

دورا تخفي رأسها بين يديها: لقد أراد حقاً هذا النوع من الصفاء، لكن يا له من تاج رهيب!

فوينوف: لا تبكي يا دورا، طلبَ ألا نبكي عند وفاته. أوه، أنا أفهم كل شيء جيداً الآن. لا أستطيع الشك فيه. لقد عانيت لأنني كنت جباناً. وبعد ذلك، رميت القنبلة في تفليس. الآن أنا لست مختلفاً عن يانيك. عندما علمت أنه محكوم عليه بالفشل، لم يكن بوسعي سوى التفكير في شيء واحد: أن أحلّ محله، لأنني لا أستطيع أن أكون بجانبه.

دورا: لا أحد يستطيع أن يحلّ محله الليلة! سيكون بمفرده يا أليكسيس.

فوينوف: يجب أن ندعمه من خلال فخرنا به، بالطريقة التي دعمنا بها أمثاله.

دورا: انظر، عيناي جافة. لكني فخورة، لا أستطيع إلا أن أكون فخورة مرة أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: دورا، لا تحكمي عليّ بالسوء. أتمنى أن يعيش يانيك؛ نحتاج المزيد من الرجال مثله.

دورا: لا تتمنى ذلك. يجب أن نتمنى له الموت.

أنينكوف: أنت مجنونة.

دورا: علينا أن نتمنى الموت. حسناً، أنا أعرف ما داخل قلبه، بهذه الطريقة سيكون في سلام. أوه نعم، يجب أن يموت! (بصوت أكثر نعومة). لكن آمل أن يكون موته سريعاً.

ستيبان: عليّ أن أذهب يا بوريا. هيا يا (ألكسيس)، أورلوف ينتظرنا.

أنينكوف: نعم، وارجع بسرعة. (يتجه ستيبان وفوينوف نحو الباب، ينظر ستيبان إلى دورا).

ستيبان: سنكتشف ذلك، راقبيها (دورا عند النافذة، وأنينكوف ينظر إليها).

دورا: الموت! المشنقة؟.. موت بالطريقة نفسها، أوه، بوريا!

أنينكوف: نعم أختي الصغيرة. هل من حلّ آخر.

لا تقل شيئاً كهذا إذا كان الحلّ الوحيد هو الموت، فإننا لسنا على الطريق الصحيح. الطريق الصحيح هو الذي يقود إلى الحياة، إلى الشمس. لا يمكن أن يبقى الجو بارداً إلى الأبد...

أنينكوف: هذا الطريق يقود إلى الحياة، حياة الآخرين. ستعيش روسيا وسيعيش أحفادنا. تذكّر ما قاله يانيك، روسيا ستكون جميلة.

دورا: أناس آخرون، أحفادنا...نعم. لكن يانيك في السجن والحبل حول رقبته بارد. سوف يموت. ربما مات بالفعل حتى يتمكن الآخرون من العيش. أوه! بوريا، وماذا لو لم يعش الآخرون أيضاً؟ ماذا لو مات من أجل لا شيء؟

أنينكوف: لا تتحدثي بهذه الطريقة. (هدوء).

دورا: أشعر بالبرد الشديد، أشعر وكأنني ميتة بالفعل. (وقفة). كل هذا يجعلنا نكبر بسرعة كبيرة. نحن لم نعد أطفالاً، في المرة الأولى التي تقتل فيها طفولتك تختفي. أرمي قنبلة وفي ثانية واحدة تنهار حياتي كلها. نعم، يمكننا أن نموت في أي وقت الآن. لقد مررنا بالفعل بدورة الحياة.

أنينكوف: نموت ونحن نقاتل، كما يموت الرجال الحقيقيون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: لقد سرنا بسرعة كبيرة، لم نعد بشراً.

أنينكوف: الشرّ والبؤس يسيران بسرعة كبيرة أيضاً. لم يعد هناك مكان للصبر والنضوج في هذا العالم. روسيا في عجلة من أمرها.

دورا: أعرف، لقد حملنا شرّ العالم على عاتقنا. وكذلك هو، يا للشجاعة! لكن في بعض الأحيان أقول لنفسي: إننا سنُعاقب على هذا العمل.

أنينكوف: إنه عمل نبذل حياتنا من أجله. لا أحد يستطيع أن يذهب أبعد من ذلك. لدينا الحقّ في هذا العمل.

دورا: هل نحن على يقين من أن لا أحد يستطيع أن يذهب أبعد من ذلك؟ أحياناً، عندما أستمع إلى ستيبان، أشعر بالخوف الشديد. ربما سيأتي أشخاص آخرون سيستخدمونهم مثلنا ليسمحوا لأنفسهم بالقتل حتى لا يضحون بأرواحهم.

أنينكوف: سيكون هذا عملاً جباناً يا دورا.

دورا: من يعرف؟ ربما سيكون هذا هو العدل. ولن يجرؤ أحد على النظر إلى وجهه بعد الآن.

أنينكوف: دورا! (هادئة) هل تشكّين في نفسك؟ أنا بالكاد تعرفت إليك.

دورا: أشعر بالبرد. أفكّر في الرجل الذي كان عليه أن يرفض أن يرتجف حتى لا يبدو خائفاً.

أنينكوف: إذن ألستِ معنا بعد الآن؟

دورا، ترمي نفسها في وجهه: أوه، بوريا، بالطبع أنا معكم! سأبقى حتى النهاية. أنا أكره الطغيان وأعلم أنه يمكننا تغيير الأشياء. ولكني اخترت هذا في البداية بقلب سعيد، والآن أواصل ذلك بقلب حزين. هذا هو الفرق. نحن مساجين.

أنينكوف: روسيا كلها في سجن. نحن نحاول هدم أسوار البلاد.

دورا: فقط أعطني قنبلة لرميها وسترى. سوف أسير إلى منتصف المعركة وستكون خطواتي مساوية لخطوات أي شخص. من السهل أن تموت بسبب تناقضاتك أكثر من التعايش معها. هل وقعت في الحبّ من قبل، هل أحببت شخصاً يا بوريا؟

أنينكوف: لقد كنت في حالة حبّ مرة واحدة، لكن لقد مرّ وقت طويل حتى لم أعد أفكّر في الأمر.

دورا: منذ متى؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنينكوف: أربع سنوات.

دورا: منذ متى وأنت تشرف على المنظمة؟

أنينكوف: أربع سنوات. (وقفة). الآن أنا أحبّ المنظمة.

دورا، (تمشي نحو النافذة): أن تحَبّ، نعم، لكن أن تحِبّ... لا، علينا أن نسير. الجميع يتمنى لو توقفوا. سيروا! سيروا! نودّ أن نمدّ أذرعنا ونترك أنفسنا. لكن قذارة الظلم تلتصق بنا مثل الغراء. سيروا! ترى هل محكوم علينا بأن نكون أعظم مما نحن عليه بالفعل. الناس، الوجوه، أولئك الذين نودّ أن نحبهم. هل نختار الحبّ أو العدل! لا، علينا أن نسير! سيري يا دورا! إلى الأمام، يانيك! (تبكي) لكن بالنسبة إليه، النهاية قريبة.

أنينكوف يحملها بين ذراعيه: سيعفون عنه.

دورا تنظر إليه: أنت تعلم جيداً أنه لن يفعل. أنت تعلم أننا بحاجة إلى عدم العفو عنه. (تشيح ببصرها). ربما قد خرج بالفعل إلى القاعة. فجأة، ويسكت الحشد كله بمجرد ظهوره. بوريا، هل تعرف كيف يشنقون أحدهم؟

أنينكوف: بطرف حِبل، كفى يا دورا!

دورا، مشدوهة: يقفز الجلاد ويدفع كتفيه إلى الأسفل، ويجعل رقبته تطقطق. أليس هذا فظيعاً؟

أنينكوف: نعم، بمعنى ما. بمعنى آخر، إنه جيد.

دورا: جيد؟

أنينكوف: أن تشعر بلمسة الإنسان قبل أن تموت. (ترمي دورا بنفسها على كرسي). (صمت). دورا، علينا المغادرة باكراً، يجب أن نرتاح قليلاً.

دورا، عقلها تائه: أغادر؟ مع من؟

أنينكوف: معي دورا.

دورا تنظر إليه: أغادر! (تستدير نحو النافذة). إنه الشروق، يانيك مات بالفعل، أنا متأكدة.

أنينكوف: أنا أخوكِ.

دورا: أجل، أنت أخي، ككل إخوتي الذين أحبّهم. (وقع قطرات المطر. تنظر، حين الشمس تشرق، دورا تتحدث بصوت ناعم). لكن الأخوة لها طعم رهيب أحياناً!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(طرقة). دخل فوينوف وستيبان. (تتنبه دورا لكنها تستعيد السيطرة على نفسها بجهد مرئي).

ستيبان: يانيك لم يخُنا.

أنينكوف: رأى أورلوف؟

ستيبان: نعم.

دورا تتقدم بثبات: اجلس. نعم...

ستيبان: ما فائدة ذلك؟

دورا: أخبرنا، لدي الحقّ بأن أعرف، أريدك أن تخبرنا بالتفصيل.

ستيبان: ليس عندي إجابات لكل الأشياء التي ستسألين عنها. وعلى أي حال، أريد المغادرة.

دورا: لا، سوف تتحدث. متى قالوا له بأنهم سينفذون حكم الإعدام؟

ستيبان: في العاشرة ليلاً.

دورا: متى شنقوه فعلاً؟

ستيبان: الثانية صباحاً.

دورا: إذن انتظر أربع ساعات؟

ستيبان: نعم، دون أن ينبس ببنت شفة، ثم سارت الأمور بسرعة. الآن انتهى كل شيء.

دورا: أربع ساعات دون أن ينبس ببنت شفة. انتظر دقيقة. ماذا كان يلبس؟ هل كان معه معطفه؟

ستيبان: لا، كان يرتدي الأسود، دون أي شيء. وكان لديه قبعة سوداء من اللباد.

دورا: كيف كان الوضع في الخارج؟

ستيبان: ليلة مظلمة، وكان الثلج متسخاً بالفعل، ثم جعله المطر طيناً لزجاً.

دورا: هل ارتجف؟

ستيبان: لا.

دورا: هل يمكن أن يرمش أورلوف بعينه؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستيبان: لا.

دورا: عمّ كان يبحث، وأين كان يبحث؟

ستيبان: في كل مكان، قال أورلوف، دون أن يرى أيّ شيء حقاً.

دورا: بعد ذلك، بعد ذلك؟

ستيبان: كفى يا دورا.

دورا: لا، أريد أن أعرف، كيف مات على الأقل.

ستيفان: ثم قرأوا عليه الحكم.

دورا: ماذا كان يفعل خلال ذلك؟

ستيبان: لا شيء، باستثناء قيامه برفع إحدى رجليه مرة واحدة، لإزالة القليل من الوحل الذي كان عالقاً في حذائه.

دورا، رأسها في يديها: قليل من الوحل!

أنينكوف بفظاظة: كيف تعرف كل هذا؟ (ستيبان صامت). هل سألت أورلوف عن كل هذا؟ لماذا؟

ستيبان، يبتعد عن وجهه: كان هناك شيء بيني وبين يانيك.

أنينكوف: ماذا كان ذلك؟

ستيبان: كنت أحسده.

دورا: ماذا بعد، ستيبان، وماذا بعد؟

Telegram:@mbooks90

ستيبان: جاء الأب فلورنسكي ليمنحه الصليب، رفض تقبيله، وقال له: لقد أخبرتك بالفعل أنني انتهيت من الحياة، وأنا في سلام مع الموت.

دورا: كيف كان يبدو؟

ستيبان: كان صوته طبيعياً، لكن من دون الحميّة ونفاد الصبر الذي كنّا نسمعه منه دائماً.

دورا: هل بدا سعيداً؟

أنينكوف: هل أنت مجنونة؟

دورا: نعم، نعم، أنا متأكدة أنه بدا سعيداً. لأنه من غير العدل، بعد أن رفض أن يكون سعيداً فى الحياة واستعد لهذه التضحية، ألا يكون سعيداً وهو على وشك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموت. كان سعيداً، وسار بهدوء إلى المشنقة، أليس كذلك؟

ستيبان: نعم مشى بهدوء. وكان هناك شخص ما يغني في اتجاه مجرى النهر، ويعزف على آلة أكورديون. وكانت بعض الكلاب تنبح في ذلك الوقت أيضاً.

دورا: وبعدها صعد الدرج...

ستيبان: لقد صعد. غرق في الظلام. يمكن أن ترى بشكل مموه الكفن الذي غطاه الجلاد.

دورا: وبعد ذلك...

ستيبان: بعض الأصوات الناعمة. يانيك! وحينها... (ستيبان يصمت). أخبركِ وبعدها (لا يزال ستيبان هادئاً). تحدث يا أليكسيس، ثم ماذا؟

فوينوف: صوت رهيب.

دورا: آه. (ترمي نفسها على الحائط. ستيبان يدير رأسه بعيداً. أنينكوف يبكي من دون أي تعبير. تستدير دورا وتنظر إليهما في مواجهة الحائط. في صوت متغيّر ضائع): لا تبكوا. لا، لا، لا تبكوا. أنتم جميعاً ترون جيداً أن هذا هو يوم التبرير. كل ذلك أدى إلى هذه الساعة، التي هي شهادتنا لجميع الثوار الآخرين. لم يعد يانيك قاتلاً بعد الآن. صوت رهيب! لم يستغرق الأمر سوى هذا الصوت، والآن عاد إلى فرحة طفولته. هل تتذكرون ضحكته؟ كان يضحك بلا سبب طوال الوقت. إنه مازال شاباً ينبغي أن يضحك الآن. لابد أنه يضحك ووجهه ملامس للأرض. (تذهب نحو أنينكوف). بوريا، أنت أخي؟ قلت بأنك ستساعدني.

أنينكوف: نعم.

دورا: افعل ذلك من أجلي، أعطني قنبلة (ينظر إليها أنينكوف) في المرة القادمة. أنا من سيرمي القنبلة.

أنينكوف: أنتم تعرفون أننا لا نريد ان تكون النساء في الخطوط الأمامية.

دورا تبكي: هل أنا مازلت امرأة حتى الآن؟ (ينظرون إليها). (هدوء).

فوينوف بهدوء: دعها يا بوريا.

ستيفان: نعم، دعها.

أنينكوف: حان دورك يا ستيبان.

ستيبان، ينظر إلى دورا: دعها، إنها تشبهني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دورا: ستعطيني واحدة، أليس كذلك؟ أنا سأرميها! وبعد ذلك، في ليلة باردة ما...

أنينكوف: نعم، دورا.

دورا تبكي: يانيك! في ليلة باردة وبالحبل نفسه! سيكون كل شيء أسهل بكثير مما هو الآن.

النهاية

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner